دراسات في أدب الجزيرة العربية
(١)

من بواكير الشعر السياسي الحديث
في
جزيرة العرب

قصيدتا : الأسكوبي (١٢٦٤ ـ ١٣٣٢هـ)
والمبارك (١٣١٠هـ ـ ١٣٤٣هـ)
في حال : الترك، والإنجليز
(١٣٣١هـ . ١٣٤٢هـ)
تعليق، ودراسة

د. عبد الله بن محمد أبو داهش
الأستاذ المشارك ورئيس قسم الأدب والبلاغة والنقد
في كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالجنوب

مكتبة الحكمي
الرياض ت ٤١١٢٢١٢



دراسات في أدب الجزيرة العربية

(١)

من بواكير الشعر السياسي الحديث في جزيرة العرب

قصيدتا : الأسْكُوبي (١٢٦٤ - ١٣٣٢هـ)
والمبارك (١٣١٠هـ - ١٣٤٣هـ)
في حال : الترك، والإنجليز
(١٣٣١هـ ، ١٣٤٢هـ)
تعليق، ودراسة

د. عبد الله بن محمد أبو داهش

الأستاذ المشارك ورئيس قسم الأدب والبلاغة والنقد
في كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالجنوب

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ / ١٩٩١م

تصريح وزارة الإعلام برقم ١٧ بتاريخ
١٣/١/١٤١٢هـ (مكتب المطبوعات بأبها)

طباعة دار العلم للطباعة والنشر - جدة
ص.ب : ٤٧٩٧ جدة ٢١٤١٢ ت: ٦٧١٢١٠٠ المملكة العربية السعودية
التنفيذ والإخراج الفني
سيد حفني

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وبعد :

فإن الباحث في تاريخ الأدب في جزيرة العرب عبر النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، يدرك بواعث الشعر السياسي الحديث، ويعي ظواهره بصورة واضحة بينة، ولعل سبب ذلك يعود إلى واقع الأمة الإسلامية حينذاك، وما أضحت عليه من التباين، والاضطراب، فلقد وهن حالها، وكثر أعداؤها، مما ساعد على ظهور الشعر السياسي عند نفر من شعرائها، وجعلهم يسهمون بشيء من نتاجهم الشعري في: الحديث عن قضايا أمتهم وواقعها، فالحق أن حال الأمة الإسلامية عندئذ يستحق: العطف، والشفقة، ويستدعي اليقظة، والإصلاح.

ويأتي شعراء: الحجاز، وشرقي الجزيرة العربية في طليعة الشعراء الذين تناولوا هذا الغرض الشعري، وحاولوا أن يعبروا عن واقع أمتهم بشيء من المعاني الشعرية المناسبة، وفي مقدمة أولئك الشعراء: الشاعر إبراهيم بن حسن الأُسْكُوبي (١٢٦٤ ـ ١٣٣٢هـ)، وعبدالعزيز بن عبداللطيف آل مبارك (١٣١٠ ـ ١٣٤٣هـ) اللذان حاولا في نتاجهما الشعري عندئذ أن يظهرا موقفهما تجاه أوضاع أمتهما، وما أصابها من: الهوان، والضيم، فلقد انتقد الأُسْكُوبي وضع الخلافة العثمانية، وحالها السياسي المؤلم في مرحلة متأخرة من حياتها السياسية الضعيفة، على حين أخذ المبارك على الإنجليز سياستهم الجائرة، وما صنعوه في: البحرين من تدبير سياسي غادر، إذ دعاهما هذا الحال إلى الإسهام بشيء من نتاجهما الشعري المناسب، وعلى الرغم من: قلة هذا النتاج، وندرته، لم ينل: عناية الدارسين، واهتمامهم، إلّا ما أتى ضمن دراسة عامة، أو حديث شامل، مما دعا إلى إفراد هاتين القصيدتين بهذه الدراسة الموجزة المستقلة، لعل الدارسين المهتمين بأدب الجزيرة العربية في هذه الفترة يجدون في هذه الدراسة طريقا لتأصيل هذا الغرض الشعري ودراسته، فالواقع أنه

يستحق منهم: الدراسة، والتحقيق، ولكى يضم إلى رصيد الشعر السياسي في أدب الجزيرة العربية، ويسد نقصا في تاريخ الأدب العربي ذي الحلقات الأدبية المفقودة، فضلا عن أهمية هذا النتاج في توجيه: الناشئة، وإذكاء روح الحماسة في نفوسهم، إذْ نحن بحاجة ماسة إلى بعث هذا الشعور، وإذكائه، وهناك شعر وافر يدخل في هذا الغرض لم أشأ درسه في هذا المقام لما لهاتين القصيدتين من أثر في نفسي.

ومهما يكن الأمر فقد حاولت في هذه الدراسة الموجزة أن اتعرض لمظاهر حياة هذين الشاعرين، حيث ترجمت لهما ترجمة يسيرة موجزة، وتحدثت عن مناسبة القصيدتين، وقيمتهما، ومظانهما، ووصفهما، وقد أوردتهما كاملتين في هذه الدراسة مع محاولتي شرح بعض كلماتهما، أو التعليق على بعض أبياتهما، كما أنني قد خصصتهما بتعليق موجز حول قيمتهما المعنوية، وبعض ملامحهما الفنية، إذ حاولت الوقوف مع الشاعرين في بعض أفكارهما، وما تعرضا له من قضايا مختلفة، ولقد اعتمدت في هذه الدراسة على عدد من المصادر الأولية التي تعرضت لهذا الموضوع، ولا أنكر على السابقين من الباحثين فضلهم، ولا سبقهم، وإنما أردت أن أسهم بجهدي معهم، وأسدّ نقصاً قد يقع في تاريخ الأدب العربي الحديث بهذه الجزيرة العربية الواسعة، والله أسأل التوفيق والسداد، وهو السميع العليم.

وكتبه

د. عبدالله أبو داهش

أبها ـ كلية اللغة العربية

في ترجمتي : الأسْكُوبي، المبارك

أولاً : الشيخ إبراهيم الأُسكوبي

نسبه، ومولده :

هو: إبـراهيم بن حسن بن حسين بن رجب الأُسْكُـوبي[١]: «ولد بالمدينة [المنورة] سنة ١٢٦٤هـ»[٢]، يعود نسبه في مدينة أُسْكُوب بألبانيا التي ينتسب إليها[٣]، إذ تذكر المصادر أن جدّه حسين بن رجب نزح منها: «في أوائل القرن الثالث عشر الهجري»[٤] حيث عمل بالتجارة[٥]: «وأصبح من أعيان المدينة في عهده»[٦]، ويقال: إن ولادة هذا العالم كانت في سنة ١٢٦٩هـ[٧]، ولعل الصواب عام ١٢٦٤هـ، نظراً لإجماع معظم المصادر على هذا التاريخ، ولكون القائلين به من مواطني الشاعر من أهل المدينة، وساكنيها.

تعليمه الأولي، ودراسته :

تلقى تعليمـه على يد والده، وعلى يد: «العَـالِمَيْن الهنـديين المجـاورين بالمدينة: حبيب الرحمن، وغلام النقشبندي»[٨]، وقد أخذ عنهم جميعا: «في علوم الدين، والأدب، والرياضة، واللغات الثلاث : «العربية، والفارسية، والتركية»[٩].

رحلاته :

تنقل إبراهيم الأُسْكُوبي بين العديد من بلدان العالم الإسلامي، إذ تعوّد الرحلة في سبيـل: العلم، أو الوفادة على الأمراء، والملوك، أو للعلاج، وطلب الراحة، فلقد: «قام برحلات كثيرة إلى: اليمن، ونجد، ومصر، والشام، والهند، وتركية، وطالت إقامته بمكة، فكان جليس أميرها الشريف عَوْن الرَّفِيق[١٠]، وأحد شعرائه»[١١].

أعماله، ومكانته العلمية :

يلاحظ الباحث في سيرة هذا العالم أنه لم ينتظم حياته العملية، عمل فكري واحد، وإنما يدرك أنه اشتغل: بالتدريس، والخطابة، فلقد تولى التدريس : «في المسجد النبوي في أوائل القرن الرابع عشر»[١٢] الهجري، إذ: «كان يدرّس: الفقه، والحديث، والتفسير، والمنطق، وعلم الأدب، والهيئة»[١٣]، وكان: «الأُسْكُوبي خطيب المسجد النبوي»[١٤]، يقول عنه عبدالله عبدالجبار: «لم يكن الأُسْكُوبي... رجل دين يعنى بالثقافة الدينية فحسب، وإنما كان إلى [جانب] ذلك أديباً يعني بالثقافة الأدبية، وبتزويد عقله بألوان المعارف والثقافات»[١٥] ويؤكد هذا القول إنه: «كان يجيد اللغات: التركية، والأردية، والفارسية»[١٦] مما وصف ثقافته بالشمول والعمق.

مؤلفاته :

لم يكن الأُسْكُوبي مكثرا في التأليف، وإنما يبدو أنه صرف همته الفكرية نحو نظم الشعر وتحريره، إذ ترك بعد وفاته مجموعة مخطوطة من شعره: «اشتملت على أكثر منظوماته، وقد نشر بعضها في صحف الحجاز، والشام»[١٧]، وله المزدوجة الشعرية الموسومة بـ: «مفاخرة ما بين وأبور البحر ووابور البر»، والتي أنشأها عام ١٣٢٤هـ، وقد نشر محمد العيد الخطراوي ديوان الأُسْكُوبي محققاً في عام ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، وقال: إنه لم يظفر بقصيدة الأُسْكُوبي الرائية التي بين أيدينا الآن: «مطبوعة في صحيفة»[١٨] ولم تكن ضمن الديوان الذي عثر عليه، وإنما أوردها ضمن: «زيادة الدفتر دار على المخطوط».

وفاته :

أُختلف في تحديد تاريخ وفاة هذا العالم، والظروف التي صاحبت هذه الخاتمة الدنيوية، فلقد ذهب الزركلي إلى أن وفاته كانت بالمدينة المنورة في سنة ١٣٣١هـ[١٩]، على حين ذكر عبدالسلام هاشم حافظ أن الأُسْكُوبي توفى في بلاد الغربة في هذه السنة نفسها، وقد ذهب: عبدالرحيم أبوبكر[٢٠]،

وعبدالله الحامد[٢١]، وإبراهيم الفوزان[٢٢]: إلى أن وفاة هذا الشاعر كانت في عام ١٣٣٢هـ، وتكاد تجمع المصادر على أن القصيدة السياسية التي أنشأها الأُسْكُوبي في التعرض لحكم العثمانيين وسياستهم تعد سببا في وفاته، إذ لابس تلك الوفاة ظروف غامضة غير عادية، على الرغم من أنه استدعي من أجلها إلى تركيا، ثم عاد من بعدها إلى المدينة حيث توفى في عام ١٣٣٢هـ، ولعله التاريخ الحقيقي لوفاة هذا العالم رحمه الله تعالى.

ثانياً : الشيخ عبدالعزيز بن عبداللطيف آل مبارك

نسبه، ومولده :

هو: عبدالعزيز بن عبداللطيف بن إبراهيم بن عبداللطيف آل مبارك[٢٣]، يعود نسبه في أسرة آل مبارك المشهورة بالأَحْسَاء، إذ: «تنتمي هذه الأسرة إلى الشيخ مبارك بن علي بن محمد بن قاسم بن حمد بن سلطان، وتنتسب إلى عمرو ابن تميم.. من بني جندب بن العنبر، ممن كان يسكن في بلدة قفار»[٢٤] بحائل، وكان قسم من سكان هذه البلدة قد نزحوا في القرن الثامن الهجري إلى رَوْضَة سُدَيْر، والْقَارَة، وهم آل مزروع[٢٥]: «وفي سنة ١٠٨٧هـ حدثت حوادث بين أبناء العمومة اضطرت قسماً منهم لمغادرة إقليم سُدَيْر، فمنهم من قصد حَوْطَة بني تَمِيْم، وهم سكانها الآن، ومنهم من قصد الأَحْسَاء، ومن هؤلاء قاسم بن حمد جد آل مبارك الذي استقر هو وذووه في مدينة المُبَرَّز، وكانت في ذلك العهد قاعدة الأَحْسَاء»[٢٦]، وقد سكن آل قاسم في محلة السياسب، إذ كانوا يعرفون بآل حمد النجدي[٢٧]، وقد تفاوتت المصادر في تحديد ولادة هذا العالم، إذ قيل: إنه ولد في: الأَحْسَاء سنة ١٣١٠هـ[٢٨]، وقيل في الْهُفُوف سنة ١٣١١هـ[٢٩].

تعليمه الأولي، ودراسته :

تلقى تعليمه الأولي على يد نفر من علماء عصره، حيث قرأ القرآن الكريم على أحد معلمي وطنه[٣٠]، ثم درس: «الفقه، والحديث، والتفسير على جدّه الشيخ

إبـراهيم، وأخـذ: النحـو، وعلوم العـربيـة، على شيخه: الشيـخ عبـدالعزيز العلجي»[٣١]، وكان عبر فترة طلبه للعلم كثير الحرص على الإفادة والتحصيل.

رحلاته:

كان الشيخ عبدالعزيز آل مبارك كثير التنقل، والترحال، وبخاصة في بلدان العالم الإسلامي، ومدنه، فلقد: «رحل إلى البحرين، وأقام فيها مدة من الزمن، والتقى بعلمـائهـا، وأدبائها، وأخذ عنهم وأخذوا عنه، ورحل إلى الهند أيضا للعلاج، ومرّ بعُمَان»[٣٢]، وكان عبر هذه الفترة التي قضاها في الرحلة والتنقل: «يشغل وقته بالدعوة إلى الله عزّ وجل، وتعليم الناس أحكام دينهم، وإرشادهم إلى ما يعود على المسلمين بسالف مجدهم»[٣٣].

أعماله، وجهوده العلمية:

يعد التدريس من أبرز الأعمال التي قام بها هذا العالم في حياته، إذ أسهم بشيء من ذلك في ميداني: العلوم الدينية، والعربية، فلقد: «تصدّى للتدريس وهو في السادسة عشرة من عمره»[٣٤] وكان كثير الحرص على متابعة طلابه، وتعليمهم، مما وصفه بالجد والمثابرة، وقد تخرج في حلقته العديد من مواطنيه، وطلاب العلم في بلده[٣٥]، ولم يعرف له نتاج فكري آخر غير الشعر، حيث: «ترك ديوان شعر غاية في الجودة»[٣٦].

وفاته:

توفي الشيـخ عبـدالعـزيـز بن عبـداللطيف آل مبارك عام ١٣٤٣هـ[٣٧]/ ١٩٢٤م، وهو: «لم يتجاوز الثالثة والثلاثين»[٣٨] من عمره.

القصيدتان : مناسبتهما، قيمتهما، مصادرهما، وصفهما :

أولاً : مناسبتهما :

(١) مناسبة قصيدة الأُسْكُوبي، وظروف نظمها :

تحتل هذه القصيدة مكانة رفيعة مهمة عند: الأدباء، والمؤرخين، والباحثين، وطلبة العلم، وذلك لأهميتها: المعنوية، والفنية، ولما أصاب صاحبها ـ بسببها ـ من: المشقة، والمصاعب، فلقد قيل: إن تاريخ نظمها كان في عام ١٣٣١هـ/١٩١٣م، وإن: «الصدمة: التي منيت بها الشعوب العثمانية حين احتلت إيطاليا ولاية ليبيا قبيل الحرب العالمية الأولى، وتخاذل الأتراك إزاء ذلك الغزو الاستعمارى أهم باعث على إرسال هذه الصرخة المدوية التي انبعثت من قلب مكلوم، رأى مستقبل أمته مهدداً بالخطر والزوال فنبه إلى مكامن الداء وأسباب العلاج، ولكنه... جوزى على ذلك من قبل أولي الأمر بالاستدعاء والمحاكمة، وتوجيه التهم المختلفة»[٣٩]، ويؤكد هذا القول ما ذهب إليه عبدالقدوس الأنصارى في معرض حديثه عن قصة الشعر في بلادنا، حيث قال: «ثم بدأ عصر البعث العربي في أعقاب حرب الدولة العثمانية مع إيطاليا، فكانت بلاد العرب تموج بحركات الاستنكار لالتواءات الرجل المريض، كما تموج بحركات اليقظة، والشعور بالذاتية، ونفخ شعراؤها في أبواق التبشير بتفتح الوعي العربي، وبانطلاقه من القيود والسدود، واسترجاع مجده السليب، فنال رشاشٌ من هذا البعث العام هذه البلاد، ولم تتمكن من مسايرته، ولا من تتبع خطواته بما يغير دفة اتجاهها من الوراء إلى الإمام بحكم استحكام القيود والسدود التي تحيط بها من دولة الأتراك إذ ذاك. وكان من آثار انتقال عدوى الشعور بالذاتية والوجود: أن رأينا العالم الشاعر إبراهيم الأُسْكُوبي ينظم قصائده السياسية في المدينة المنورة يزجي بها نصحاً، وتوجيها للدولة العثمانية التي تشاءمت من انبثاق هذا الوعي المتفتح الذي سبق أوانه، فزجت بالشاعر الممتلي إخلاصا واعتدالاً بالسجن في بلاد الغربة، وما رحمت كبر سنه، ولا قدسية موطنه، ولا علمه ولا أدبه، وهذا كله أمر ذو بال بالنسبة لتاريخ

قصة الشعر في ديارنا إبّان الإغفاءة المديدة»[٤٠]، ومما يزيد في إيضاح سبب إنشاء هذه القصيدة قول عبدالله الحامد، حين قال: «وأول ما يذكر في ذلك الشعر السياسي الذي نظم فيه الأُسْكُوبي الرائية التي دوى ذكرها، وانتشر خبرها في: الحجاز، والشام، ولبنان، وتناقلتها الصحف، وعلقت عليها، وطلب الشاعر إلى الآستانة وحوكم، ثم بُرىء لأنه لم يقل إلّا خيراً، فقد أشفق على الترك أن يخدعوا ببريق الحضارة الغربية، ويستكينوا لأعدائهم الموتورين في معارك: اليونان، ويوغوسلافيا، وفينا»[٤١].

وإذا كان حال الأمة الإسلامية، وما أصابها على أيدى أبنائها من هوان، قد دعا الأُسْكُوبي إلى نقد الخلافة الإسلامية حينذاك ممثلة في الدولة العثمانية، فإن الأُسْكُوبي أيضاً قد انزعج مما يصدر عنه بعض قادة الحكم التركي الذين: «ظنوا أن سبب تأخرهم هو تمسكهم بالدين»[٤٢]، مما دعاه إلى نظم هذه القصيدة، وإظهار مضمونها بصورة ظاهرة غير خافية، وقد ساعده على تحمل آثار مسؤولية هذه القصيدة: «اضطراب الأوضاع في تركيا بسبب حروبها، ووجود من يناصره في نقده للسياسة التركية التي اتجهت من أوائل القرن العشرين إلى شعار القوميات، بدل الخلافة الإسلامية، مما كان سببا في نهايتها»[٤٣]، ومما سبق ذكره يتضح أن الحماسة الدينية، والغيرة الإسلامية اللتين صدر عنهما الأُسْكُوبي في قصيدته كانتا سببا في إذكاء الشعور الذاتي لديه، وأنه قد انزعج مما يجرى في ظلال الدولة العثمانية التركية حينذاك من مظاهر: الضعف، والخذلان، مما دعاه إلى نظم قصيدته دون خوف من عواقب نشرها.

(٢) مناسبة قصيدة المبارك، وظروف نظمها.

تتفق المصادر الموجودة بين أيدينا الآن على أن سبب نظم هذه القصيدة يعود إلى سياسة الإنجليز[٤٤]، في البحرين[٤٥]، وما عمدوا إليه فيها من سياسية مخلة، فلقد قاموا بعزل حاكم البحرين الشيخ عيسى آل خليفة[٤٦]، وتنصيب ولده حمد بن عيسى[٤٧] حاكماً بدله، مما أفضى إلى غضب الشاعر،

واستنكاره لهذا العمل السياسي الجائر. وكان تاريخ نظم هذه القصيدة في عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م، يقول جامع شعر: «شعراء هجر» إن هذه القصيدة قيلت: «بمناسبة تغير الأوضاع في البحرين، حيث أسند حكم البحرين للشيخ حمد بن الشيخ عيسى آل خليفة، بعد عزل والده الشيخ عيسى آل خليفة، وقد وجدت مسودة بعد وفاته»[٤٨]، وهذا يؤكد اشتغال الشاعر بهذا الشعر السياسي، ويُظْهر سبب نظمه لهذه القصيدة، فالحق أنه قد أحاط بهذا النص ظروف غير عادية.

ولقد تنبه أحد الكتاب إلى هذا الوضع السياسي المحزن، والداعي لنظم هذه القصيدة، إذ قال: «وفي وسط الخليج كانت بريطانيا تهيمن على الأمور، فاسترابت من الشيخ عيسى الخليفة حاكم البحرين، وأرادت رجلاً آخر قد يلين تحت يديها، ولا يبدى استنكاراً، فعزلت الشيخ لأنه كما قالت: شيخ هرم، وولت ابنه حمداً ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م، وقد تنبه الشاعر الواعي عبدالعزيز بن عبداللطيف المبارك لهذا التحكم البريطاني، فقال قصيدة رنانة في ٨٠ بيتاً»[٤٩]، ومن هنا تتضح مناسبة هذه القصيدة، وسبب نظمها، وأنها قد قيلت بدافع سياسي خطير، وفي ظروف عصيبة غير عادية.

ثانياً: قيمتهما:

يدرك الباحث في تاريخ الأدب في جزيرة العرب في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري أهمية هاتين القصيدتين، ومنزلتهما الأدبية، وما قامتا به من دور تاريخي مهم، فلقد مثلتا الأدب السياسي في هذه الفترة تمثيلاً ظاهراً، ونالتا اهتمام الباحثين وعنايتهم، فمن الواضح أن قصيدة «الأُسْكُوبي» تعد - عند بعض الباحثين - بداية لعصر البعث الأدبي في الحجاز[٥٠]، إذ أنه لم: «يسبق لشاعر من شعراء ذلك الجيل ولا ما قبله... أن سلك في شعره هذا السبيل الشائك الذي كان يعتبر: فضولاً، ونزقا، وشططا من الشطط»[٥١]، ويقول أحد المهتمين بشعر الأُسْكُوبي: «نلحظ هذه الشجاعة الأدبية التي دفعت الشاعر إلى التضحية بنفسه في سبيل التنبيه على مظاهر الأدواء، ومكامن

الخطر التي رآها الشاعر تهدد أمته ودولته، وأتت هذه الصرخة في جو خانق للحريات فرضه اتحاديو تركيا على الولايات العثمانية، ولم تسلم منه الحجاز، وفي ظل هذه الحالة اكتسب الأُسْكُوبي دوراً بارزاً في الشعر السياسي بهذه القصيدة»(٥٢)، ونال: «الكثير من تقدير وثناء من تحدث عن الحياة الأدبية الحديثة في الحجاز»(٥٣).

ولم تقف أهمية هذه القصيدة عند هذا الحد، بل نلحظ أنها: «أصبحت حديث الساعة بين سكان الحجاز خاصة، وقادة السياسية التركية عامة، وقد ساعدت على توليد الشعور العام لدى سائر طبقات الشعب الحجازي ضد السيطرة التركية، وجسدوا ذلك في ثورة [١٣٣٥هـ ١٩١٦م]»(٥٤)، ولعل مما زاد من قيمة هذه القصيدة أنها نشرت: «وتناقلتها الصحف حتى صارت لها ضجة في الشام، ورددها الذين كانوا في الشام يناهضون الحكم التركي»(٥٥)، ولذلك نلحظ القيمة المعنوية لهذه القصيدة، وما اشتملت عليه من المعاني الرفيعة وما حملته من الأفكار، إذ بات من الواضح أن قيمتها الفنية لا ترقى إلى منزلتها المعنوية التي اتسمت بها، فالحق أنها تمثل مستوى الأدب حينذاك، وتعبر عن مظاهر الحماسة، واستلهام المشاعر، وقد تنبه لهذا عبدالله الحامد في معرض حديثه عن هذه القصيدة، حيث قال: «والقصيدة على قيمتها السياسية ليست في روائع الشعر، ولا في جيده، إنما هى شعر أتكأ فيه الشاعر على: الأمثال، والحكم القديمة، أكثر من اعتماده على الوصف الطليق»(٥٦)، ومثله ذهب عبدالرحيم أبو بكر، إذ قال: «ومهما يكن أمر النقاش في مستوى هذه القصيدة من الناحية الفنية، فإن الأُسْكُوبي كان فيها ملتزماً بموقف معين في إطار ثقافته، وانتمائه»(٥٧).

أما قصيدة المبارك فلا تقل أهمية عن قصيدة الأُسْكُوبي، إلَّا أنها لم تنل من العناية ما نالته قصيدة الأُسْكُوبي، إذ أنها لم تظهر للناس إلَّا بعد وفاة صاحبها، إذ قيل: إنها «وجدت مسوّدة بعد وفاته»(٥٨) وأن شعره السياسي الذي تمثله هذه القصيدة التي بين أيدينا يعد من أهم نتاجه الشعري لما تضمنه من معان، وما صدر عنه من أفكار، فلقد أظهر: «ما كان يجيش في نفسه من رغبة صادقة

في اجتمـاع الكلمـة، ولم الشمل، والاتحاد في ظل جو إسلامي، يستعيد به المسلمون ما كان للصحابة الأُول من أمجاد خالدة»[٥٩]، ولقد تنبه لهذا الحال أحد الدارسين ، إذ قال: «ولهذه القصيدة قيمة كبيرة في شعرنا السياسي، وكثيرون هم الذين وقفوا معجبين برائية الأُسْكُوبي في تحذير العثمانيين خطر المستعمـرين، واعتبـروهـا فتحـاً جديداً في الشعر السياسي، لكن قصيدة المبارك، وإن جاءت متأخرة فيما يبدو إلا أنها أكثر عمقا، وأشد حماساً، وأجود أسلوباً»[٦٠]، ومهما يكن الأمر فإن قيمة هاتين القصيدتين تأتي في معانيهما الجادة، وما اشتملتا عليه من ملامح الحماسة الدينية، والغيرة الإسلامية، ولعل المهتمين بتاريخ الأدب العربي، والباحثين عن منهج سوى له يفيدون من هاتين القصيـدتين في سد النقص الظاهـر في ذلك التـاريخ، والإفادة منهما، ومن أمثـالهما في هذا الشأن، فالحق أن الجرأة التي صدر عنها الشاعران تمثل تفوقهما في هذا الجانب، وتعبر عن عزمهما الجاد في ايقاظ الأمة الإسلامية من وسن الغفلة، والسبات العميق، فما أحوجنا لمثل هذا الشعر الناصح الجاد.

أولًا : قصيدة الأسكوبي :

قال الشيخ إبراهيم الأُسْكُوبي : [البسيط]

(١) يا آل عثمانَ[٦١] فالمغرورُ مَنْ غُرَّا * بأهلِ أوربةٍ[٦٢] أو عهدهم طرًّا
(٢) أتأمنونَ لموتورين[٦٣] ديدنُهم * أن لا يَرَوْا منكمُ فوق الثرا حرًّا
(٣) تمالئوا[٦٤] فخُذوا حذراً فانهمُ * يرون إبقاءكم بين الورى ضُرا
(٤) فهذه دولة (الطليان)[٦٥] حين رأت * أسطولَكم ليس يغني فأجات غَدْرا
(٥) وشقتِ البَحْرَ بالأسطول معجبة * تختال تيها به مغرورة سَكْرى
(٦) وأنزلتْ بطرابُلْسٍ[٦٦] عساكرها * فهل أوربة كفت عنكم شرا ؟
(٧) فما على من رآى لحماً على وضم[٦٧] * يجترُّه غيره لوم إذا اجترا
(٨) أتركنون لمن دَبَّ الضّراء لكم * ومد عنقًا يغادى سرحكم عقرا ؟

(٩) دون الدنيةِ إيثار المنية في * قومٍ من البغضِ ودوا محوَكم مكرا
(١٠)لا تحسبوا أنهم ناسون ما فعلت * أسلافكم بهم في سالف مرا
(١١)أو يجهلون التواريخ التي سُطرتْ * وهم جميعاً بما في كتبها أقرا[٦٨]
(١٢)أو ما دروا ما الذي التنزيل أوجبه * من الجهادِ وهذى صفحة تُقْرا ؟
(١٣)هي التي أنتمُ فيها منازِلهُمْ * غصبتموهم عليها ـ فاعلموا ـ قهرا
(١٤)من يجحد الشمس يجحد أنها لهم * كانت وأصبحوا مُلَّاكها جَبرا
(١٥)أيقظتموهم بضرب الهام فانْتبهوُا * من نومهم ورقدتم أنتم الدهرا![٦٩]
(١٦)فليتكم ما خطوتم نحوهم قَدَماً * وما أغرتم على أملاكهم شبْرا!
(١٧)نبهتموهم فشدوا عَزْمَهمُ حَنَقا * كأنكم قد أقلتم منهم العثرا
(١٨)فجددوا عُدَدا للحرب فَاتكة * براً وبحراً فجاسوا[٧٠] البر والبحرا

*****

(١٩)والله أرسل طه رحمة وهدى * للكل فانفتقت[٧١] أنواره نشرا
(٢٠)وعمت الخلق نفعاً بالعلوم فَمِنْ * كَسَّابِ دُنيا أو الدنيا مع الأخرى
(٢١)فقامت العرب قبل الناس أجمعهم * دينا ودُنْيا وشَدُّوا عزمهم أزرا
(٢٢)فجد أجدادكم جهداً بما شرعت * شرائع الدين حتى وطدوا الأمرا
(٢٣)وأهل أوربة والغرب أجمعِهِ * في ظُلمة الجهل يستاقونهم أسرا
(٢٤)فتحتم بكتاب الله أرْضَهمُ * فأصبحت لكم من رجسهم طهرا
(٢٥)ثم اجترأتم على الدين القويم بما * يسوؤه بدعاً كادت ترى كفرا[٧٢]
(٢٦)فحين ما انتبهت أعداؤكم لكم * مُسَلَّحِين يدكون الدّنى زأرا[٧٣]
(٢٧)رجعتم القهقهري عنهم مداهنة * فزاد طغيانهم من بعد ذا كبْرا
(٢٨)فمن كمصر وأرض الهند نام لهم * أرَوْه كيف يَرَى نجم السُّهى[٧٤] ظُهرا
(٢٩)ومن تنبه (كالجابون)[٧٥] رَدَّهم * مِثْلَ النعاج على أعقابهم قسرا
(٣٠)فما بَقَى غرضٌ للقوة من كثب * يُرْمَي سواكم، وطيرٌ يقْبَلُ الزجرا

(٣١)وأنتم تحسبون الدهر مال بكم * ضَعْفاً ووهناً وأبقاكم لهم جُزْرا[٧٦]

* * * * *

(٣٢)عجزتم ما استوت آراؤكم عجبا * في الداء هذا الذي أعيا بأن يَبْرا
(٣٣)حتى ضربتم على أن تيأسوا فشلاً * من الشفاء ولم تستدركوا العمرا
(٣٤)فأقبلت علماءُ السوء عامدَة * تسيمكم كي تموتوا موتة كبرى
(٣٥)سلوا الحشايا[٧٧] التي حللتم ترفاً * هل قَبْلُ كانت لأسلاف لكم تطرا ؟
(٣٦)أو الأسرّة تعلو فوقها كِلَلٌ * هل تعبر البحر إن رُمتُم بها عَبْرا ؟
(٣٧)بئست بها راحة أفْضَتْ إلى تعب * عم البِلادَ وأعمى داركم فقرا!
(٣٨)هل من خبير بداء في قلوبكم * أعمى البصيرة حتى أغلق الفكرا ؟
(٣٩)عقائد فسدت فيكم فَأَفْسَدت الـــ * مُلْكَ العظيم وأفشت فيكم الذعرا

* * * * *

(٤٠)ظننتمُ أن دين الله أخركمْ * عنهم وهم حمدوا كفراً به المسرى
(٤١)لا تظلموا رحمة للعالمين أتت * هدت إلى حِكَمٍ عُظْمَى جرت نهرا
(٤٢)فلو عملتم بها ما فاتكم أحد * سبقا ولا أحد يوما لكم أزرى
(٤٣)تذكروا كم خطيئاتٍ لكم سَلَفَتْ * بها؛ تأخرتم عنهم، أبَتْ حصرا

* * * * *

(٤٤)تالله تالله إن لم تسمعوا الذّكْرى * مالوا عليكم فلم يُبْقُوا لكم ذِكْرَا
(٤٥)نِعْمَ الشفاء بقرآن الإله إذا * قبلتموه وإلا فاسكنوا القبرا
(٤٦)إنْ تَنصُرُوا الله يَنصُرْكُمْ فكم فئة * قليلة غَلَبَتْ أضعافها كُثْرَا[٧٨]

* * * * *

(٤٧)يا للرجال ثقوا أن ليس ينفعكم * إلا ثباتكم إن تركبوا الوعرا
(٤٨)وإن تخوضوا غمارَ المَوتِ مُتْرَعةً * من كل أغلَبَ، من ليث الشَّرَى[٧٩] أجْرا
(٤٩)مُسلحين، بما وافى العدوُّ به * من السلاح، وان توفوا له صَبْرا
(٥٠)فهذه العرب والأتراك قاطبة * ما عندهم عُدَدٌ تكفيهمُ قدرا
(٥١)فرخصوا لجميع المسلمين به * بل اكشفوا لهم عن صنعه السترا
(٥٢)كي يصنعوه بأيديهم فيغتنموا * حياتهم ويفوا مولاهم صبرا
(٥٣)فليس عندهمُو علم بصنعته * ولا تركتم له في أرضهم جَذْرا
(٥٤)قطعتموا ـ فاتقوا المولى ـ عزائمهم * حتى غَدَوْا نعماً تستنظر النَّحرا
(٥٥)فلا لهم عمل في دفع (أوْرَبةٍ) * ولا تسببتم أن يأخذوا حذرا
(٥٦)فالله يسألكم عنهم، وعن بِدَع * جهلا رضيتم بها في دينكم تُجْرا[٨٠]
(٥٧)عليكم وِزْرهم أنْ أصبحوا هدفاً * يُرْمي! وليتكم استعظمتم الوزرا ؟
(٥٨)لو ألف عام طلبتم علم أوربة * وحالُكُم هكذا لم تبلغوا العُشرا
(٥٩)لم يكفِ ما طار منْ صيت لهم خَبَراً * حتى يطيروا فوقكم خُبْرا
(٦٠)مكاتب كخيال الظل هل أحد * سما بها فضله أو طالِبٌ اثرا ؟
(٦١)إن كان مبلغكم في العلم ذلك فالـ * جهل البسيط[٨١] لكم من غيره أحْرى
(٦٢)فاليوم أنفع عِلْمٍ في البنادق[٨٢]، والـ * بيض[٨٣] الصوارم تَنْفي العار والعُسْرا
(٦٣)فنبهوا ما بَقِى من أهلِ ملتكم[٨٤] * ولا تُبَقُّوا لهم يوم اللقَا عُذْرا
(٦٤)ودربوهم على تعليم صنعة ما * يُغيثهم واطلبوا المولى بذا الأجْرا
(٦٥)وألْقِمُوا حجراً مَنْ قال: إنهمُ * إذا شكوه شكوتم منهم المُرَّا
(٦٦)وفارقوا رِبَقاً[٨٥] كانت تُذللهم * فلا يُبَقُّوا لكم نَهْياً ولا أمرا
(٦٧)ليخسأ الخاسرُ الملعونُ غَشَّكُمُ * فهل بنا هو من رب السما أدرى ؟
(٦٨)والله يأمرنا أن نستعد لمن * عاداه كيما يُولِي في الوغى دُبْرا[٨٦]
(٦٩)فإن فرضنا بأنْ شَقَّ العصا رجلٌ * لا بد آخَرُ يسقيه الردى مُرا
(٧٠)وإن به فئةٌ قامت مُسلحةً * بغيا عليكم به قامت له أخرى!

(٧١)كان السلاحُ سلاحَ المِثل قبل بلا * ريب، وكانت ملوك ترهب القطرا
(٧٢)يكفى من الغش ما ضاع الزمان به * فما تبقى سوى أن تَلْعقُوا الصِبْرا[٨٧]
(٧٣)وتتبعوا الشرع في نَيْل العلاء وفي * نصر الإله، إذا ما رمتم النَّصرا
(٧٤)وأن تكونوا من الدين القويم على * أقوى اتفاق، وأن لا تظلموا العصرا

* * * * *

(٧٥)نصيحة حثَّها النصر المبين لكم * عسى عسى بعدها أن تنفع الذكرى!

* * * * *

(٧٦)والله أرجو ينيل الفوز في زَمَنٍ * مضى، ويُبْدِلنُا من عُسرنا يسرا
(٧٧)وبالصلاة أخص المصطفى شرفاً * والآل مع صحبه العِتْرَةِ [٨٨] الغرَّا[٨٩]

* * * * *

ثانياً : قصيدة المبارك :

قال الشيخ عبدالعزيز بن عبداللطيف آل مبارك : [الكامل]

(١) هَلْ مَنْ يُجيبُ إذا دَعَوْتُ[٩٠] الدَّاعِي * وَيَعي الخطَابَ وأَيْنَ مِنّي الْوَاعِي ؟
(٢) ذَهَبَ الرِّجَالُ وَخَلَّفُوا أَشْبَاهَهُمْ[٩١] * وَالمَاءُ يَخْلُفُهُ سَرَابُ[٩٢] الْقاعِ
(٣) كم ذا أُنَادي غيْرَ مَسْمُوعِ النِّدا[٩٣] * وَأُحُثُّ للإصلاح غيْرَ مُطاعِ
(٤) أَبَنِي الكرامِ السَّابِقِينَ إلى الْعُلاَ[٩٤] * هَلْ فِيكُمُ مُسْتَجْمِعٌ لِدِفَاعِ
(٥) هل فيكُمُ مَنْ يُخْتَشَى أو يُرْتَجَى * لجلاد سَيْفٍ أو جدالِ يَرَاعِ[٩٥] ؟
(٦) ضَيَّعْتُمُ الإسلامَ شَرَّ إضاعةٍ * عُلِمَتْ فَضِعْتُمْ بَعْدُ شَرَّ ضَيَاعِ
(٧) يا أُمَّةً ذَهَبَ الخُمولُ بِمَجْدِهَا * هَلْ بَعْد ذا الإِخْفَاقِ ذِكْرُ سَاعِ ؟
(٨) مَاتَتْ طَبائِعُكُمْ فلم تَحْسُسْ بذا * وَالمَيْتُ ليس يُحِسُّ بالأوْجاعِ
(٩) وَعَلَى البلادَةِ والْجُمُودِ طُبِعْتُمُ * وَمِنَ المُحَالِ تَغَيُّرُ الأَطْباعِ

(١٠)كم ذا تَهَضَّمُنا الْعِدَا وَتَسُومُنَا * سَوْمَ العذاب مُلَوَّنَ الأنْواعِ
(١١)وإلى مَتَى نُمْسِي لأغراضِ الْعِدَا * غَرَضاً وَنُصْبِحُ عُرْضَةَ الأطماعِ ؟
(١٢)فكأنَّنا سَرْحٌ(٩٦) بِقَفْرٍ سائِبٍ * ما فيهِ من جَنْبٍ ولا من رَاعِ
(١٣)يَرْعَى ويكْرَعُ(٩٧) كيْفَ شَاءَ وَلَحْمُهُ * مَرْعَى وَمَكْرَعُ أَكْلُبٍ وَضِبَاعِ
(١٤)قد ضاعَ سُوقُ المجْد حتى مالَهُ * مِنْ سائمٍ(٩٨) فَضْلاً عَنِ المُبْتاعِ
(١٥)القَوْمُ همُّهُمُ الرقِيُّ وَهمُّنا * في فُرْقَةٍ وَقَطيعَةٍ وَنِزَاعِ
(١٦)سَادَ الْخِلافُ برأْينا وَتَغَلَّبَتْ * في جَمْعِنَا الْفَوْضَى فما من رَاعِ
(١٧)فَبِكُلِّ دارٍ مِنْبَرٌ وخليفةٌ * يَدْعُو لِبَيْعَتِه عَلَى أَوْضَاعِ
(١٨)إوَ لَيْسَ مغزانا جميعاً وَاحِداً * فَعَلامَ هذا الْخُلْفُ في الأَتْباعِ ؟
(١٩)فإلهُنَا وكتابُنَا ونبيُّنَا * وبلادُنَا والأَصْلُ غَيْرُ مُشَاعِ

* * * * *

(٢٠)لله دَرُّ عصابةٍ قد أَحْرَزُوا * قصبَ السِّباق بِحَلْبَةِ(٩٩) الإبْدَاعِ
(٢١)دَانَتْ لأَمْرِ الله أَنْفُسُها لِذَا * دَانَتْ لَهَا الدُّنْيَا بلاَ اسْتِمْناعِ
(٢٢)مَلكوا جميعَ المَشْرِقَيْنِ وَأَخْضَعُوا الْـ * بَاغِين فِيهَا أَيَّمَا إِخْضاعِ
(٢٣)وَمَشَوْا عَلَى البحْرِ الْخِضَمِّ فما اشتكوْا * بَلَـلاً بأَقــدامٍ ولا أَدْراعِ
(٢٤)مَلأَى الصُّدور مِنَ المَكارمِ والتُّقَى * وَمِنَ الْحُطامِ فَوَارِغُ الأَضْلاعِ
(٢٥)فمِنَ الطَّعامِ بتَمْرَةٍ سَودَا اجْتَزَوْا * وبشَمْلَةٍ(١٠٠) شَهْبا مِنَ الأَدْراعِ (١٠١)
(٢٦)لم يكتُبُوا رَقّاً بغيْر شَبا الظُّبَا(١٠٢) * فوقَ الطُّلاَ بِنَجيعِهَا الْهمَّاعِ (١٠٣)
(٢٧)شادُوا مِنَ التَّقْوىَ أَصَحَّ مَدافعٍ * وبَنَوْا مِنَ الحسناتِ خيْرَ قِلاَعِ
(٢٨)هَاتِيكَ فُرْسَانُ الْحُروبِ وإِنَّمَا * نحْنُ فوارسُ أَلْسُنٍ وَقِصَاعِ (١٠٤)

* * * * *

(٢٩)سِيرُوا كما ساروا لِتَجْنُوا ما جَنَوْا * لا يَحْصُدُ الْحَبَّ سِوىَ الزُّرَّاعِ
(٣٠)وَتَيَقَّظُوا فالسَّيْلُ قد بَلَغَ الزُّبَى(١٠٥) * يا أَيُّها النَّوْمَى عَلَى الأنطاعِ (١٠٦)

(٣١)واسْتَرْجِعوا ما فاتَ مِنْ غاياتِكُمْ * ما دُمْتُمُ في مُكْنَةِ اسْتِرْجاعِ
(٣٢)قوموا اقْرَعوا بالْجِدِّ أبوابَ العُلَا * لا تُقْصِرُوا عن هِمَّةِ الْقُرَّاعِ
(٣٣)أَنَّ المَعالي ما عَلَى أبوابِهَا * غيْرُ الْوَنَى وَالْعَجْزِ مِنْ قَرَّاعِ [١٠٧]
(٣٤)واستعْذِبوا شَوْكَ المَنَايَا في اجْتِنَا * وَرْدِ الأَماني رائِقَ الإيناعِ
(٣٥)إنْ قلتمُ نَخْشَى المَجاعَةَ فالذى * بكُم أَشَدُّ أذىً مِنَ الإدقاعِ [١٠٨]
(٣٦)وَتعلَّموا فالعلمُ معراجُ العُلَا * ومفاتحُ الإخْصابِ والإمْرَاعِ [١٠٩]
(٣٧)العلمُ ليس لِنَفْعِه حَدٌّ ولا * حدٌّ لضرِّ الْجَهْلِ بالإجماعِ
(٣٨)فخذوا مِنَ الْغَرْبيِّ[١١٠] خَيْرَ عُلومِهِ * وَذَرُوا قبيحَ خَلائِقٍ وَطِباعِ
(٣٩)وإذا عَلِمْتُمْ فاعلموا فالعِلمُ لا * يُجْدي بلا عَمَلٍ بحُسْنِ زَمَاعِ [١١١]
(٤٠)فالمرءُ غُصْنٌ والعُلومُ زهورُهُ * وثمارُهُ الأعمالُ بالمُسْطَاعِ [١١٢]
(٤١)وَابْنُوا عَلَى التَّقْوىَ قواعِدَكُمْ فمَا * يُبْنَى عَلَى غيْر التُّقَى مُتَداعِ
(٤٢)واحْمُوا حِمَاكُمْ بالأسِنَّةِ والظُّبَا * من كل عاد معتد طماعِ
(٤٣)وتحفظوا والله خير حافظا[١١٣] * مِنْ كلِّ صِلٍّ[١١٤] نحْوَكُمْ مُنْبَاعِ [١١٥]
(٤٤)هَيُّوا[١١٦] لِطَرْدِ الفقرِ عن أَوْطَانِكُمْ * جيشاً مِنَ الزُّرَّاعِ والصُّنَّاعِ
(٤٥)يا أَيُّها النَّوْمَانُ بيْنَ مخالِبِ اللَّـــ * يْثِ الْهَصُورِ ونَابِهِ القَلَّاعِ
(٤٦)ارْحَمْ شبابَكَ وَانْتَبهْ من قبلِ أن * تُضْحِي ضَحِيَّةَ حَلْقِهِ البلَّاعِ
(٤٧)لا تَرْجُونَّ مِنْ العِدَاةِ مَوَدَّةً * إنَّ الأعادِي فاحْذَرَنَّ أَفَاعِ
(٤٨)فاخْشَ العَدُوَّ وَإنْ أراكَ تَلَطُّفاً * فلهُ بذاكَ اللُّطْفِ نهْشُ شُجَاعِ [١١٧]
(٤٩)لا تَحْسَبَنَّ وِفَاقَ شَعْبٍ أَجْنَبٍ * شعباً ضعيفاً غيْرَ مَحْضِ خِداعِ

* * * * *

(٥٠)يا خاطبَ الْعَلْيَاءِ إنَّ صَدَاقَها * صَعْبُ المَنَالِ عَلَى قَصِيرِ الْبَاعِ
(٥١)مَهْرُ الْعُلَا جُرْدُ الْجِيَادِ تَقُودُهَا * مُرْدُ الْكُماةِ تمِيسُ[١١٨] في الأَدْراعِ
(٥٢)أَوَكلَّ يومٍ للعَدُوِّ إغَـــارَةٌ * مَشْنُونَةٌ في هذه الأرْباعِ [١١٩]

(٥٣)طمعٌ طبيعيٌّ أماط مُجاهِرَاً * عن وَجْهِهِ المُرْبَدِّ كلَّ قِنَاعِ
(٥٤)حَمَلوا علينا بالدَّراهمِ حَمْلَةً * لم نستطعْ في وَجْهِها لِدِفَاعِ
(٥٥)وَتلاَعَبَتْ فتْيَانُ أُورُبَّا بنا * كَتَلاعُبِ الصِّبْيَانِ بالْمُرصاعِ [١٢٠]
(٥٦)عجباً تُبَاعُ وتُشْتَرى الْبَحْرَيْن[١٢١] لاَ * مِنَ ثَائرٍ فَضْلاً عَنِ المَنَّاعِ
(٥٧)قطعتْ حماةُ الشَّرْقِ أبطالُ الوَغَى * آمالَهُمْ بالأبْيَضِ القَطَّاعِ
(٥٨)فأَتَوْا بلادَ العُرْبِ كيْ يستَدْركوا * ما فاتَهُمْ بالأصفَرِ الخَدَّاعِ [١٢٢]
(٥٩)بدأوا بِسَلْبِ حِمَى أَوَالَ[١٢٣] لأنَّها * مِفتاحُ سائرِ هذهِ الأصْقَاعِ
(٦٠)نَقَضُوا عُهُودَ حَليفِهِمْ عِيسَى الذى * لِذِمَامِهِمْ قد كانَ خيْرَ مُرَاعِ
(٦١)قد ضَيَّعوا مِيثاقَ عِيسَى مِثْلَمَا * قد ضيَّعُوا مِيثاقَ عيسى الدَّاعِي[١٢٤]
(٦٢)وَدَعَوْا لهُ ابنا مُشْرِكينَ كما دَعَوْا * لله جَلَّ ابْناً فخابَ السَّاعِي
(٦٣)قالوا: ضَعُفْتَ عَنِ الإِمَارَةِ فانْعَزِلْ * دَعْوَى خَصِيمٍ ما لَدَيْهِ مـدَاعِ
(٦٤)ان يستطيعوا عَزْلَ عِيسَى فانْعزَا * لُ عَلاَءِ عيسى ليس بالمُسْطاعِ [١٢٥]
(٦٥)مَلِكٌ أَشَادَ له النَّدَى ذكراً مَلاَ الْـ * آفاقَ بالأضْواءِ والأضْواعِ [١٢٦]
(٦٦)فتذمَّرَتْ عُرْبُ «البُدَيِّعِ»[١٢٧] غَيْرَةً * عربيَّةً مَعَ سائِرِ الأتْباعِ
(٦٧)وَتَرَحَّلوا عنهُ ولم يَتَلفَّتُوا * كرماً لِطِيبِ مساكِنٍ وضِياعِ
(٦٨)سَنُّوا لنا سَنَنَ الكرامِ إِذَا هُمُ * ضِيمُوا، فهل لِلْقَومِ مِنْ تُبَّاعِ ؟
(٦٩)لم يقْبَلوا هذا الهوانَ لأَنَّهُمْ * مِنْ عُرْبِ نَجْدِ الفِتْيةِ الأرْوَاعِ [١٢٨]
(٧٠)أَنْعِمْ بها من رِحْلَةٍ قد شَيَّدَتْ * مجداً ومَكْرُمةً وطِيبَ سَماعِ

* * * * *

(٧١)رَحَلُوا عَنِ الأوْطانِ في طَلَبِ العُلاَ * فاستَبْدلُوا مِنْهُنَّ خيرَ رباعِ
(٧٢)نَزَلوا بِساحَةِ ماجِدٍ[١٢٩] رَحْبِ الفِنَا * صعْبِ المَرامِ مِنَ الأذَى مَنَّاعِ
(٧٣)فأَوَوْا إلى كهْفٍ عظيمٍ شامخٍ * صَعْبِ المَراقي مُمْرِعِ [١٣٠] الأجْرَاعِ [١٣١]
(٧٤)ملك به عَرْشُ الإمامَةِ قد سَمَا * ورَسَا وكانَ عَرَاهُ قَبلُ تداعِ

* * * * *

(٧٥)مَبْسُوطتانِ يداهُ لِلْعَاني[١٣٢] ولِلْــ * جانِي بوَبْلِ نَدىً ونارِ مِصَاعِ[١٣٣]
(٧٦)فزمانُهُ للمُجْتَدِي والمُعْتَدِي * يومانِ يومُ قِرىً، ويومُ قِرَاعِ
(٧٧)لَيْثٌ فَرائِسُهُ الملوكُ وصَيْدُهُ * غُرُّ الممالِكِ لاظِبَا الأسْلاعِ[١٣٤]
(٧٨)يا لَيْتَ عُرْبَ المسلمينَ وعجمهم * عَقَدُوا عليهِ عُقْدَةَ الإجماعِ
(٧٩)واستَخْلفوهُ فهْوَ خيرُ خليفةٍ * في نُصْرَةِ الدِّينِ المُطَهَّرِ ساعِ
(٨٠)لا زالَ كوكَبُ جُودِهِ وَسُعُـودِهِ * يَنْمُو بطيبِ نَدىً وَحُسْنِ شُعاعِ[١٣٥]

ثالثاً : مصادرهما :

يدرك الباحث في تاريخ الشعر في جزيرة العرب عبر النصف الأول من القرن الرابع الهجري شيوع ذكر هاتين القصيدتين، ووضوح اهتمام الباحثين بهما، والاقتباس منهما، فلقد اعتمد عدد من دارسي الشعر السياسي في بلادنا عليهما في التاريخ لهذا اللون الشعري المعهود، مما ساعد على شيوع ذكرهما، ووجود أبيات منهما في العديد من المصادر الأدبية المعاصرة، ومع ذلك عرف لهما مصادر أولية معروفة، مثل: ديوان الأُسْكُوبي نفسه الذي حوى قصيدته، وفي ذلك يقول عبدالرحيم أبو بكر في معرض حديثه عنها: «وتاريخ هذه القصيدة كما جاء في مخطوطة الديوان هو عام ١٣٣١هـ/١٩١٣م»[١٣٦]، وإلى مثل ذلك أشار: عبدالسلام هاشم حافظ حين ذكر أن للأُسْكُوبي: «قصائد سياسية أزجى بها النصح للدولة العثمانية، فسجن بسببها في بلاد الغربة، وتوفى سنة ١٣٣١هـ»[١٣٧]، كما اشتملت بعض الدراسات العلمية الحديثة المعاصرة على أبيات متفرقة من هذه القصيدة، مثل كتاب «الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين» للحامد، و «الشعر الحديث في الحجاز» لعبدالرحيم أبو بكر، و: «الأدب الحجازي الحديث» للفوزان، ولكن المصدر المهم المنشور الذي حوى جميع أبيات هذه القصيدة، وتم الاعتماد عليه في هذه الدراسة الموجزة: «مجلة المنهل في عددها الرابع ح٤، س١٣ (شهر ربيع الثاني ١٣٧٢هـ) ص ص١٧٦ ـ ١٨٠»، ولم أُعارضها بنصها الآخر الذي ورد ضمن زيادة الدفتر

دار على ديوان الأُسْكُوبي الذي حققه الخطراوي، لما وقع فيه من التصحيف والتحريف، ولأنه اشتمل على زيادة في عدد أبيات القصيدة، إذ بلغت هنالك ٧٨ بيتاً.

أما قصيدة المبارك فإنها وإن كانت أقل شيوعاً بين الدارسين من قصيدة الأُسْكُوبي، فلقد أتى على ذكرها نفر من الدارسين، مثل: عبدالله الحامد في كتابه السابق، وفي بعض مقالاته التي نشرها في مجلة العرب حول الأدب في: الإحساء، والقطيف[١٣٨]، ومع ذلك يأتي مجموع: «شعراء هجر» لعبدالفتاح الحلو في مقدمة المظان الأساسية لهذه القصيدة، حيث ضم جميع أبياتها، في باب «سياسيات الشاعر» ص١٨٥، وعلى هذا المجموع تم الاعتماد في هذه الدراسة الأدبية الموجزة.

رابعاً : وصفهما :

وإذا كان قد تم الاعتماد في دراسة هاتين القصيدتين على مصدرين مطبوعين هما: «مجلة المنهل»، ومجموع: «شعراء هجر» فإنه يمكن وصف القصيدتين من خلالهما، إذ يعدان من مظانهما المطبوعة المهمة، أما قصيدة الأُسْكُوبي فقد وردت في مجلة المنهل في ح٤، س١٣ (شهر ربيع الثاني ١٣٧٢هـ) ص ص١٧٦ - ١٨٠ تحت عنوان: «الأُسكوبية المدوية»، وقيل في صدرها: «أول قصيدة سياسية في الشعر الحجازي الحديث على ما نعرف، وقد أنشأها ناظمها الشيخ إبراهيم الأُسْكُوبي المدني في آخر العهد العثماني، وقبيل الحرب العالمية الأولى بقليل، ووجهها إلى الدولة العثمانية صيحة ارشاد وتنبيه، ونذير إنذار وإيقاظ، وقد ألقى عليه القبض من أجلها، ونفى عن بلاده، ومات غريبا مطمئن الضمير بما أدى من أمانة: العلم، والنصح، والإخلاص لدولته،وأمته»[١٣٩].

وقد وقعت هذه القصيدة في سبعة وسبعين بيتاً، ولم تضبط بالشكل، وإنما تم إيرادها دون ذلك، كما أن محررها لم يعمد إلى تحقيقها ولا التعليق عليها، بل اكتفى بنقلها دون: دراسة، أو تعليق، ولكنه صنع لها عناوين جانبيه وفق

معاني أبياتها، حيث ابتدأ مقدمتها بقوله: «صرخة في واد» ثم قسم مقاطعها الأخـرى وفق الآتي: «عبـر من التـاريـخ»، «أسباب الوهن»، «الدين لا يعوق النهوض»، «صيحة إنذار»، «وأعدوا لهم»، «أجدى العلوم»، «رجاء»، «دعاء»، وقد وقعت هذه الأبيات في خمس صفحات.

أما قصيدة المبارك، فقد وردت كاملة في مجموع: «شعراء هجر من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر» «جمع عبدالفتاح محمد الحلو، حيث مهد لها جامعها في صدر أبياتها بقوله: «قال الشيخ عبدالعزيز بن عبداللطيف آل مبـارك هذه القصيدة بمناسبة تغير الأوضاع في البحرين، حيث أسند حكم البحرين للشيخ حمد بن الشيخ عيسى آل خليفة بعد عزل والده الشيخ عيسى آل خليفـة، وقد وجدت مسوّدة بعد وفاته»(١٤٠)، وقد وقعت هذه القصيدة في ثمـانين بيتـا، في خمس صفحات، من ص١٨٥ إلى ص١٨٩، وكانت أبياتها مضبوطة بالشكل، وغير محققة، ولعل جامعها قد اعتمد في نقلها على أصلها المخـطوط، كمـا تبين في قوله السـابق، ولم تخـل هوامشها من: التعليقات، والحواشي، مما يشير إلى الاهتمام بها.

مع الشاعرين في قصيدتهما

أولاً: الأُسكُوبي، وقصيدته:

يدرك الدارس في تاريخ الأدب العربي أهمية المضامين الشعرية التي صدر فيهـا الشعـراء عن رؤية فكرية مهمة، إذ هم عندئذ يعبرون عن حال أمتهم، ويحاولون إيجاد العلاج الناجع لدفع مظاهر: الزلل، والمأخذ، وليس هذا القول بشـامـل لمعظم نتاج أدبائنا، وإنما هو ظاهر عند بعضهم دون تعميم، ولعل الاهتمام بهذا الجانب في شعرنا العربي الإسلامي يضفي على دراسة مثل هذه النصوص عبر تاريخ هذه الأمة الطويل شيئاً من الأهمية والعناية، فالواقع أن هذه المعاني تزيد في قيمة الأدب نفسه، وتدعو إلى الإفادة منه في إيجاد منهج سوى شامل، فما أحوجنا اليوم إلى منهج: «أدبي إسلامي راشد».

ولذلك أتت قصيدة الأُسْكُوبي قريبة من هذا المعنى، إذ لم تخل من ملامح: الجدة، والحماسة، والوضوح، فلقد انطلق قائلها: «إلى موضوعه دون مقدمة غزلية أو ما شابهها كما كان يفعل معاصروه»[١٤١]، إذ كان في شغل عن ذلك، وإنما أخذ يخاطب الخلافة الإسلامية في آخر سني ولايتها، وهو يطلق نداءه محذراً هذه الدولة مغبة: الغفلة، والإهمال، ولكن صيحته ذهبت أدراج الرياح، إذ قال:

يا آل عثمانَ فالمغرور من غرّا ... بأهل أوربة أو عهدهم طرا
أتأمنون لموتورين دينهم ... أن لا يروا منكم فوق الثرى حرا
تمالئوا فخذوا حذرا فإنهم ... يرون إبقاءكم بين الورى ضرا[١٤٢]

وحينما أظهر الشاعر تحذيره، وبين ضرورة التشاور في الأمر والانتباه إليه، أشار إلى عمل الإيطاليين في طرابلس بليبيا، حين أنزلت عساكرها، واستهانت بدولة الإسلام دون خشية العاقبة، ولا رهبة المصير، إذ أخذ الشاعر من بعد يسخر، ويتأمل في قوله :

فما على من رأى لحما على وضم ... يجتره غيره لوم إذا اجترا[١٤٣]

ويزداد الحماس لدى الشاعر في معانيه، فيثير في نفوس قومه جذوة الإسلام، والإحساس بدفع الذل، إذ لم يجد الطريق لذلك إلّا عن طريق تذكيرهم بمجد أمتهم الإسلامية، وما فعلت من قبل: بعلوج النصارى، وأشياعهم، ولا يرى أن الإيطاليين ناسون ذلك الصنيع، ولا تلك الأحداث الحاصلة عبر تاريخ الأمة الإسلامية الطويل، وهو عندئذ يشير إلى أثر الجهاد الذي انبسط واقعه في أرجاء المعمورة، وفتحت به البلاد، مما ساعد على فتح الكثير من بلدان العالم، حيث أضحت ضمن ممالك المسلمين، ويأخذ على هذه الخلافة الضعيفة قصورها في المحافظة على بلدانها الإسلامية، ويتمنى أنها حين قصّرت في الحفاظ على ممالكها المعروفة لم تتعد على ممالك غيرها، مما هيأ لأولئك الأعداء: الاستعداد الحربي، والتهيئة القتالية.

وحين عمد الشاعر إلى هذا النداء المؤثر، وتلك الصيحة المدوية، لم يشأ أن يهمل التاريخ الإسلامي وعبره، إذ أخذ يركز على هذا الجانب، وكأنه يذكر به، ويدعو إلى: استلهامه، وإظهاره، حيث رأى فضل الإسلام وأثره على الأمة، ودعا إلى: التفكير، والنظر، فلقد أعزّ الله هذه الأمة بالإسلام، وجعلها في قوة من بعد ضعف، وفي عزّ من بعد ذل، إذ فتح المسلمون الممالك ورفعوا راية الإسلام في ذراها، وغيرها من الأمم تعيش: الجهل، والضياع، ولم ير الشاعر سببا لهذا الاختلاف سوى تهاون المسلمين بدينهم، وميلهم نحو: البدع، والمعتقدات الباطلة، يقول:

ثم اجترأتم على الدين القويم بما
يسوؤه بدعا كادت ترى كفرا(١٤٤)

عند ذلك تنبيه الأعداء لهذا الضعف، فأخذوا يتحرشون بحشايا البلاد الإسلامية في ظل هذه الخلافة الواهية، ويضرب لهم الأمثال بغيرهم، فلا يرى لهم شبيها، فلقد لاحظ ركونهم إلى الهدوء، والرغبة في الجلوس، حيث عدّ أسرة الملك، والحشايا سببا في: التقصير، والإهمال، إذ بسط ذلك في: تساءل ظاهر، وسخرية مرة، فقال:

سلوا الحشايا التي حللتم ترفا ... هل قبل كانت لأسلاف لكم تطرا
أو الأسرة تعلو فوقها كلل ... هل تعبر البحر إن رمتم بها عبرا
بئست بها راحة أفضت إلى تعب ... عم البلاد وأعمى داركم فقرا(١٤٥)

ويمضي الشاعر في إظهار أسباب الضعف، ودواعي الوهن، فيرى أن الخطر في تقاعس المسلمين عن المحافظة على ثغورهم وولاياتهم، وأنهم أهملوا واقعهم الديني، حيث شاعت البدع، وضعفت العقائد، مما ضيع الشخصية الإسلامية وأوهنها، ويلح الشاعر في تساءل جاد، يبحث فيه عن مدرك يعلم: الخطل، ويظهر: العيب، إذ قال:

هل من خبير بداء في قلوبكم ... أعمى البصيرة حتى أغلق الفكرا
عقائد فسدت فيكم فأفسدت الـ ... ملك العظيم وأفشت فيكم الذعرا(١٤٦)

وحين يرى الشاعر أسباب تأخر المسلمين، وضعف خلافتهم في فساد عقيدتهم، يؤكد أن الدين الإسلامي لا يقف عائقاً في سبيل تقدم الأمة، ولا يسبب تأخرها، وإنما هو سبب رفعتها وعزها، وما ظن ضعاف النفوس من أبناء الأمة الإسلامية سوى أثر من آثار الغزو الفكرى الذى أوجده الغرب المستعمر،

حيث قال :

ظننتم أن دين الله أخركم عنهم وهم حمدوا كفرا به المسرى
لا تظلموا رحمة العالمين أتت هدت إلى حكم عظمى جرت نهرا(١٤٧)

وتزداد عاطفة الشاعر تجاه عقيدته ودينه فيجأر بالصوت في صيحة مدوية عالية، علها تنبه الغافلين من ولاة الدولة العثمانية الذين يشهدون حال أمتهم يتدهور، وينهار، وهم في غفلة وركون، فلقد لعب الماكرون بأوضاع الخلافة في محاولة لإلغائها، وعزل خلفائها، وحين يصدر الأُسْكُوبي في هذا الواقع عن هذه الرؤية، فهو محق في صيحته المؤلمة التي يؤكدها بقوله :

تالله تالله إن لم تسمعوا الذكرى* مالوا عليكم فلم يبقوا لكم ذكرا
نعم الشفاء بقرآن الإله إذا* قبلتموه وإلا فسكنوا القبرا
ان تنصروا الله ينصركم فكم فئة* قليلة غلبت أضعافها كُثرا(١٤٨)

وحينما تفيض مشاعر الشاعر بالحسرة، ويعلو صوته بالتحذير، ينصرف للبحث عن علاج ناجع مفيد، به يستطيع أن يدفع الضرر، ويسدى لأمته عملا مفيداً ناصحاً، إذ يرى أن القوة في: إرادة الدفاع، وعتاد الحرب سبيلاً لتحقيق العزة، وأسباب المنعة، حيث قال:

يا للرجال ثقوا أن ليس ينفعكم* إلا ثباتكم أن تركبوا الوعرا
وإن تخوضوا غمار الموت مترعة* من كل أغلب من ليث الشرى أجرا
مسلحين بما وافى العدو به* من السلاح، وإن توفوا له صبرا(١٤٩)

ولم يكتف الأُسْكُوبي في جرأته هذه أن يهمل النصح الصادق لولاة الأمر، والقائمين عليه، وإنما رأى أن أنفع العلوم وأجداها: العلم بفنون الحرب،

والإحاطة بأساليب القتال، وأسباب الحرب، وعتاده من: البنادق، والسيوف ونحوها، فهي في نظر الشاعر كفيلة في ظلال العقيدة الخالصة أن تدفع العار، وتخفى الهزيمة، ولم يبعد الشاعر عن الجادة، إنما هى الحقيقة:

فاليوم أنفع علم في البنادق، والـ
بيض الصوارم تنفي العار والعسرا[١٥٠]

ولما دنا الشاعر من خاتمة قصيدته أدركه الرجاء، ودعاه الواجب، حيث أخذ يشير إلى نصيحته، ويحث على قبولها، ثم ابتهل من بعدها أن يحقق الله الفوز، وأن يلهم أبناء أمته الصلاح والتقى من أجل دفع: الفرقة، والخلاف، إذ قال :

نصيحة حثها النصر المبين لكم
عسى عسى بعدها أن تنفع الذكرى
والله أرجو ينيل الفوز في زمن
مضى ويبدلنا من عسرنا يسرا[١٥١]

وإذا كان الأُسْكُوبي قد وفق كثيراً في تناول هذا الموضوع السياسي بما أُلهم إليه من المعاني المناسبة، والمضمون الجاد فإن: «هذا المضمون الإصلاحي هو الذي أثار إعجاب كل من كتب عن الشاعر الأُسْكُوبي»[١٥٢] فالحق أن هذا الشعور الإصلاحي ينبع من روح الشاعر الإسلامية، وحماسته الدينية الجادة، إذ هو من المشفقين على حال الخلافة الإسلامية ممثلة في الدولة العثمانية، ولم تكن القيمة الفنية لهذه القصيدة ترقى إلى قيمتها المعنوية، إذ هى تمثل في هذا الجانب مستوى الشعر في بيئة الأدب الحجازي، فالدارس لهذه القصيدة يلمس وضوح أثر: الخطابة، والتقريرية، والنثرية في أسلوب التعبير في هذه القصيدة، فضلاً عن ضعف الدلالة اللغوية أحيانا في بعض أساليب هذا العمل الأدبي، ولقد تنبه إلى شيء من ذلك عبدالرحيم أبو بكر، إذ قال: «وأسلوب القصيدة ونهجها يعتمدان على: الخطابة المجلجة المناسبة لهذا المقام، بل نجد بعض أبياتها أقرب إلى التعبير النثري منه إلى الشعر، ولعل سبب ذلك يرجع إلى أن الأُسْكُوبي كان حريصاً على توضيح

أفكـاره، ودعـوته بأبسط عبارة فكان هذا الهدف مطلوباً على حساب الإبداع الفني، واختيار التعبير الشعري الجيد»[١٥٣].

ومهما يكن من أمر، فإن الملامح الفنية الغالبة على هذه القصيدة تتضح في شيوع النثرية بين أبياتها ووضوح: الإسهاب، والتكرار، والجمل الاعتراضية، والاقتباس من القرآن الكريم، والتدوير، والميل إلى ألوان البديع المعهودة، مثل: الجناس، والطباق مما يلفت الانتباه، ويظهر مستوى الأدب عندئذ، ومع ذلك يقل هذا العمـل البديعي عما ورد في قصيدة المبارك، على الرغم من أن قصيدة الأُسْكُوبي: «أوضح أثراً، وأكثر شهرة في عصره وأسبق»[١٥٤]، ولم تسلم هذه القصيدة من المآخذ الأسلوبية، والضرورات الشعرية، مما ينم عن واقع العصر الأدبي وملامحه، علماً بأن بحر هذه القصيدة من البسيط، وأنه أتى مقطوع العروض والضرب، وهو جائز في مطلع القصيدة.

ثانياً : المبارك، وقصيدته :

وعلى الرغم ممـا أدركنـاه من حمـاسة دينية، وغيرة إسلامية في قصيدة الأُسْكُوبي، فإن الباحث أيضا يلحظ في قصيدة المبارك شدة الحماسة وقوتها، إذ انطلق فيها يثير النخوة، ويبعث الحماس، لم يصرفه نهج القصيدة المعهود عن اتباع عمودها، والوقوف عند ضوابطها المعروفة، وإنما أخذ يبنى قصيدته وفق رؤيته واهتمامه، دون العناية بالمظاهر التقليدية المعهودة، فلقد استهل نظمه بالاستفهام المؤثر الذي يؤكد فيه على أهمية الأمر وفداحته، ويثير في مضمونه أسباب الحمية، والوعي النفسي، حيث سخر من واقع مجتمعه، وحال بلاده، وأكـد بأن الرجـال قد ذهبوا، وتركوا أشباههم، إذ اتخذ من الضوابط القبلية في مجتمع الجزيرة العربية سبيلا لإثارة الهمم وإذكائها، إذ قال:

هل من يجـيـب إذا دعـوت الداعـي
ويـعـي الخـطاب وأيـن منـي الداعي؟

ذهـب الرجـال، وخـلفـوا أشـبـاهـهم

والمــاء يخــلفــه سراب القــاع

كم ذا أونــادى غيــر مسمــوع النـدا

وأحــث للإصـــلاح غيــر مطاع[155]

ويستمر الشاعر في ترديد أداة الاستفهام «هل» في كثير من أبياته مما يدل على وجود دوافع داخلية، وأحاسيس نفسية مضطربة، إذ يبدو أنه لم ير سوى هذا الأسلوب طريقاً للتعبير، وسبيلاً لدفع الآلام والهموم المحيطة به، حيث عاب على قومه إضاعتهم لمجدهم، وإهمالهم لدينهم، فلقد ذهب الخمول بواقعهم، وأناخ الجمود عليهم، إذ قال:

يا أمــة ذهــب الخــمــول بمــجــدهــا

هل بعــد ذا الإخــفــاق ذكــر ساع

ماتــت طبــائــعــكــم فلم تحــسس بذا

والمــيــت ليس يحس بالأوجــاع

وعــلى البــلادة والجــمــود طبــعــتــم

ومــن المــحــال تغــيــر الأطبــاع

كم ذا تهــضــمــنــا العــدا وتســومنــا

سوم العــذاب ملون الأنــواع[156]

ولم يكتف الشــاعــر بهــذا القول وحسب، بل مضى يلامس مشاعر قومه، ويذكيها، حيث شبههم بالقطعان السائبة في القفار: ترعى، وتسعى دون راع أو دليل، وما دام هذا الواقع هو حال قومه فإن أعداءهم سيحققون الرقي، وطلب المجد، وأبناء أمته يعيشون الفرقة، ويشهدون القطعية، فلقد فرقتهم الخلافات، وأتعبهم التقسيم :

فبــكــل دار منــبــر وخــلــيــفــة

يدعــو لبــيــعــتــه على أوضــاع[157]

ويعجب الشاعر في تساؤل ظاهر عن أسباب هذا الخلاف، وتلك الفرقة، فيقول :

أو ليس مغـزانـا جمـيـعـا واحـدا
فعـلام هذا الخـلف في الاتـبـاع ؟
فإلهـنـا وكـتـابـنـا ونـبـيـنـا
وبـلادنـا والأصـل غيـر مشـاع(١٥٨)

وحينما أفاض الشاعر في عتاب قومه، وتحريضهم على دفع الوهن والذلة، التفت إلى مجد الأمة الإسلامية، وتاريخها المشرق المجيد، فأثنى على أسلافه الذين نالوا: العزة، وحققوا الرفعة في ظلال دينهم الإسلامي الذي ارتضاه الله لهم، مما مكنهم في البلاد، وجعلهم سادة العالم، إذ كانوا :

ملأى الصـدور من المـكـارم والتـقى
ومـن الحـطام فوارغ الأضـلاع
فمـن الطعـام بتـمـرة سودا اجتـزوا
وبـشـمـلة شـهـبـا من الأدراع
لم يكـتـبـوا رقـا بغيـر شبـا الظبـا
فوق الطلا بنـجـيـعـهـا الهـمـاع
شادوا من التـقـوى أصـح مدافـع
وبـنـوا من الحـسـنـات خيـر قلاع
هاتـيـك فرسـان الحـروب، وإنـمـا
نحـن فوارس ألسـن وقـصـاع(١٥٩)

ولما أفاض الشاعر في تذكير قومه، ولومهم، أخذ في أبيات طويلة يسدى النصح لهم، ويدعوهم إلى أخذ الحيطة والحذر، والاقتداء بأسلافهم، واليقظة من غدر أعدائهم، وحثهم على الجد، وإظهار الهمة في طلب العلم، والأخذ من معطيات الحضارة الجديدة: بقوة، وعزيمة، وبوعي، وانتباه :

وتــعــلـمــوا فالعــلـم معــراج العــلا
ومــفــاتــح الإخــصــاب والإمــراع
العــلـم ليس لنــفــعــه حد ولا
حد لضــر الجــهـل بالإجـمــاع
فخــذوا من الغــربــي خيــر علومــه
وذروا قبــيــح خلائــق وطبــاع[١٦٠]

ولم يهمل الشاعر تحقيق التقوى، وطلبها بل حث قومه عليها، فهى رأس الخير وقــوامه، ولقد وفق حين دعا إلى عمارة الأرض بالزراعة، والصناعة، فهما من أسباب نهضة الأمم، ودفع: الفقر، والعوز، والفاقة، إذ قال :

هبــوا لطرد الفــقــر عن أوطانــكــم
جيــشــا من الزرّاع والصــنــاع[١٦١]

ويتــدرج الشــاعر في عرض أفكاره عبر أبيات قصيدته الوافرة، ومقاطعها المتفاوتة، إذ ظل يؤكد على أهمية معانيه المختلفة، ويلح على الأخذ بها في عرض شيق واضح، وهو في ذات الأمر يمهد لمضمون قصيدته الحقيقي الذي دعاه لنظمها، وهو تنحية الشيخ عيسى بن حمد آل خليفة عن ولاية البحرين، إذ أطلق نداءه في غضب عارم، وألم شديد، يستلهم التاريخ، ويذكي الحماسة في قلوب سامعيه، فهو يستنكر تدخل البريطانيين في سياسة البحرين، ويعجب من تصرفهم الجائر المخل، ولم يغفل الشاعر موقف قومه من هذا الحادث الجلل، وإنما نعى عليهم هدوءهم، واستنكر غفلتهم، إذ كان من الأولى لهم أن يغضبوا لذلك الصنيع، ويثأروا له، فالواقع أن انتهاك حرمة البحرين مفتاح للشر والبلية، واستهلال للسيطرة السياسية البريطانية في الخليج العربي، ولم يغفل الشاعر السخرية بالإنجليز، ونقضهم للعهود، فهم معروفون بالجور،والقصور، إذ قال:

عجــبــا تبــاع وتــشتــرى البحــرين لا
من ثائــر فضــلا عن المــنــاع

قطعت حماة الشرق أبطال الوغى
آمالهم بالأبيض القطاع
فأتوا بلاد العرب كي يستدركوا
ما فاتهم بالأصفر الخداع
بدأوا بسلب حمى أوال لأنها
مفتاح سائر هذه الأصقاع
نقضوا عهود حليفهم عيسى الذي
لذمامهم قد كان خير مراع
قد ضيعوا ميثاق عيسى مثلما
قد ضيعوا ميثاق عيسى الداعي(١٦٢)

ويظهر الشاعر رد الفعل عند أهالي البحرين من عرب «البُدَيِّع»، حين غضبوا لهذا الفعل الغادر، وكرهوا المقام في بلادهم، وطلبوا الرحلة إلى رحاب ماجد مفضال، هو الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود (١٢٩٣ ـ ١٣٧٣هـ)، إذ رأوا العيش في كنفه، وفي ظلاله،سبيلا لدفع الذل والإهانة، إذ هو جدير بالوفادة، وقمين بالخلافة في زمن تمزقت فيه وحدة الأمة، وكثرت ولاياتها، فلقد أعرب الشاعر بصدق عن آماله في تحقيق وحدة إسلامية تحت راية سياسية موحدة، ولقد أبصر الشاعر برؤيته الثاقبة: دواء لهذه الفرقة وعلاجا لتلك الألاعيب السياسية الخطيرة، إذ ود لم الشمل تحت راية سياسية واحدة، وفي ظلال دولة إسلامية راشدة، ولقد أدرك ظواهر هذه الآمال في تحقيق ولاية الملك عبدالعزيز لهذا الاتحاد، فهو جدير بذلك، وقادر عليه، فلقد تمنى الشاعر نجاح هذا الأمر في قوله:

يا ليت عرب المسلمين وعجمهم
عقدوا عليه عقدة الإجماع
واستخلفوه فهو خير خليفة
في نصرة الدين المطهر ساع(١٦٣)

ومن الواضح أن قيمة هذه القصيدة المعنوية تفوق قيمتها الفنية شأن قصيدة الأُسْكُوبي، إلا أن هذه القصيدة تعد: «أكثر عمقاً، وأشد حماساً، وأجود أسلوباً»(١٦٤)، إذ توصف بأنها: ذات نفس طويل، وصبغة خطابية، فلقد اعتمد الشاعر على أسلوب: الحماسة الدينية، والخطابية الظاهرة، إذ يبدو أن الشاعر كان كثير الغيظ، واسع الحقد، مما جعل سخطه يؤثر بقدر في تكوين بناء القصيدة،ووضوح أسلوبها، على الرغم من وضوح التكلف والصنعة، ولعل ما يمكن الإشارة إليه في هذه الأبيات أن قائلها كان يكثر من استخدام: الأفعال المضارعة، والمصادر، والدلالات اللغوية المناسبة أحياناً، مما أكسب أسلوبه ملامح القوة، والجزالة، فضلاً عن استعماله لأدوات الاستفهام التي كانت بالفعل تمثل: شعوره الجاد، وموقفه المعتدل، مما أظهر هذا الجانب وبينه، وزاد في حقيقته، ولم يكن المبارك بأقل في استخدام للبديع من الأُسْكُوبي، وإنما كان أكثر منه، وبخاصة في لوني: الجناس، والطباق، إذ كاد الجناس يطغى على معظم مقاطع قصيدته وأبياتها، مما دلل على شغفه بهذا العمل البديعي، وأشار إلى مستوى الأدب في هذه الفترة، من حيث: التقليد، والتكلف الأسلوبي، إذ كان الشاعر يكرر كلماته وقوافيه، ويقتبس من: القرآن الكريم، والأمثال، ويسهل الهمز، ويميل إلى التدوير، وهو مع ذلك يشبه الأُسْكُوبي في شيوع: النثرية، والخطابية في قصيدته، ولكنه كان أحسن حالاً منه، وأفضل شاعرية(١٦٥)، علماً بأن بحر هذه القصيدة من الكامل، وأنه أتى أيضاً مقطوع العروض والضرب، وهذا جائز في مطلع القصيدة.

الهوامش، والتعليقات :

(١) خير الدين الزركلي، «الأعلام» ١/٣٥، انظر: «الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد» لإبراهيم ابن فوزان ٣/١١٧٢
(٢) عبدالسلام هاشم حافظ، «المدينة المنورة في التاريخ» ١٥٨ .
(٣) إبراهيم بن فوزان، كتابه السابق ٣/١٧٢، انظر: «المدينة المنورة في التاريخ» لعبدالسلام هاشم ١٥٨ .
(٤) إبراهيم بن فوزان، كتابه السابق ١١٧٢ .
(٥) المصدر نفسه ١١٧٢ .
(٦) المصدر نفسه ١١٧٢ .
(٧) عبدالرحيم أبو بكر، «الشعر الحديث في الحجاز» ٩٥ .
(٨) إبراهيم بن فوزان، كتابه السابق، ١١٧٤ .
(٩) المصدر نفسه ١١٧٤ .
(١٠) قال الزركلي: «عون الرفيق باشا بن محمد بن عبدالمعين بن عون [١٢٥٦ - ١٣٢٣هـ] شريف حسني من أمراء مكة ولد فيها، وناب في إمارتها عن أخيه الشريف حسين، ثم توجه إلى الأستانة سنة ١٢٩٤هـ، ولقب فيها بالوزارة، وولي مكة سنة ١٢٩٩هـ، بعد انفصال الشريف عبدالمطلب بن غالب عنها، فعاد إليها، وخلا له الجو، فتصرف بشؤونها تصرف المستقل المالك..» «الأعلام» ٥/٩٧ .
(١١) خير الدين الزركلي، كتابه السابق ١/٥٣ .
(١٢) عبدالرحيم أبو بكر، كتابه السابق ٩٥ .
(١٣) المصدر نفسه ٩٥ .
(١٤) المصدر نفسه ٩٥ .
(١٥) المصدر نفسه ٩٥ .
(١٦) عبدالسلام هاشم، كتابه السابق، ١٥٨ .
(١٧) خير الدين الزركلي، كتابه السابق ١/٣٦ .
(١٨) «ديوان إبراهيم بن حسن الأُسْكُوبي» ص٢١ .
(١٩) كتابه السابق ٣٥ .
(٢٠) كتابه السابق ٩٥ .
(٢١) «الشعر في الجزيرة العربية» ٣٧٥ .
(٢٢) كتابه السابق ١١٧١ .
(٢٣) عبدالفتاح محمد الحلو، «شعراء هجر» ١٥٧ .
(٢٤) يوسف بن راشد آل مبارك، «الأسر العلمية في الأحساء (١) آل مبارك،«مجلة العرب، ج٩، ١٠، س٨»، (الربيعان ١٣٩٤هـ) ٦٦٧ .
(٢٥) المصدر نفسه ٦٦٧ .
(٢٦) المصدر نفسه ٦٦٧ .
(٢٧) المصدر نفسه ٦٦٧ .
(٢٨) أحمد بن علي آل مبارك، «علماء الأحساء ومكانتهم العلمية والأدبية» مجلة العرب ج٥، ٦، ص١٧» (ذو القعدة والحجة ١٤٠٢هـ) ٣٨١، وانظر: «شعراء هجر» لعبدالفتاح الحلو ١٥٧ .
(٢٩) عبدالله الحامد، كتابه السابق ٣٠١، قال الحامد: «وفي شعراء هجر أنه ولد عام ١٣١٠هـ، وقد سألت الشيخ يوسف بن راشد ابن عم أبي الشاعر فأيد تاريخ رواية تاريخ الأحساء ١٣١١هـ» المصدر نفسه ٣٠١ .

(٣٠) عبدالفتاح الحلو، «مجموعه السابق» ١٥٧ .

(٣١) المصدر نفسه ١٥٧ .

(٣٢) المصدر نفسه ١٥٩ .

(٣٣) المصدر نفسه ١٥٩ .

(٣٤) أحمد بن علي آل مبارك، مقاله السابق، ج٥، ٦، ص١٧ (ذو القعدة والحجة ١٤٠٢هـ) ٣٨١ .

(٣٥) عبدالفتاح الحلو، مجموعة السابق ١٥٩ .

(٣٦) أحمد بن علي آل مبارك، مقاله السابق، مجلة العرب، ج٥، ٦، س١٧، (ذو القعدة والحجة ١٤٠٢هـ) ٣٨١ .

(٣٧) المصدر نفسه ٣٨١، وانظر: «شعراء هجر» للحلو ١٥٩، و: «الشعر في الجزيرة العربية» للحامد ٣٠١ .

(٣٨) عبدالله الحامد، كتابه السابق ٣٠١ .

(٣٩) عبدالرحيم أبو بكر، كتابه السابق ١٠٤ .

(٤٠) «قصة الشعر» مجلة المنهل ج٧، س٢٠ مج ١٦ (رجب ١٣٧٥هـ) ٣٨٢، ٣٨٣، انظر: مجلة العرب، ج٣، ٤، س١٦ (رمضان وشوال ١٤٠١هـ) ص١٩٥ .

(٤١) كتابه السابق ٣٦٦ .

(٤٢) إبراهيم بن فوزان، كتابه السابق ١١٨٠ .

(٤٣) المصدر نفسه ١١٨٠ .

(٤٤) «وقد واجه المعتمد البريطاني الميجور ديلي هذه الأحداث بعنف شديد ... فكان ذلك تحدياً منه لسلطات الشيخ عيسى بن علي حاكم البحرين آنذاك، حتى أصبح المعتمد حاكماً عسكرياً في البحرين قرابة أربعة أعوام أي من عام ١٩٢٢ ـ ١٩٢٦م، وتطبيقاً لمبدأ الوضع الراهن رأت حكومة الهند أبعاد الميجور ديلي من البحرين، ودعوة الشيخ حمد بن عيسى ولي العهد لاستلام السلطة» «البحرين» لأمل الزياني ١٠٢ .

(٤٥) «وإذا اتجهنا للحديث عن البحرين، فإننا نستطيع أن نحدد أنها تقع ضمن منطقة الخليج العربي، ما بين خطي طول ٤٨، ٥٧، وخطي عرض ٢٤، ٣٠ على شكل أرخبيل من الجزر على بعد ١٥ ميلاً من الساحل الشرقي للجزيرة العربية» المصدر السابق، وانظر عنها: «معجم البلدان» لياقوت الحموى ١/٣٤٦، و: «دراسات في الجغرافية الاقتصادية: المملكة العربية السعودية والبحرين» لأحمد رمضان شقليه ٨٥ .

(٤٦) قال الزركلي: «عيسى بن علي بن خليفة بن سلمان بن أحمد [١٢٦٥ ـ ١٣٥١هـ] من آل خليفة: أمير البحرين، ولد ونشأ فيها، وانتقل إلى قطر بعد مقتل أبيه، فأقام إلى أن اختاره أهل البحرين للإمارة سنة ١٢٨٦هـ... فعاد وقام بأعباء الإمارة في شؤونها الداخلية، وتعهد للإنجليز سنة ١٨٩٢ و ١٨٩٨م، بما أدخله في زمرة محمياتهم، واستمر إلى أن وقع شجار بين نجدى وإيراني جعله الإنجليز سبباً لتنحيته عن الحكم سنة ١٣٤١هـ (١٩٢٣م) وتولية ابنه حمد بن عيسى، وأقام عيسى في البحرين بقية حياته وتوفى بها من آثاره مرفأ على ساحل المنامة أمر ببنائه سنة ١٣٣٠هـ، ومحجر صحي بناه سنة ١٣٢٧هـ» «الأعلام» ٥/١٠٦ .

(٤٧) قال الزركلي: «حمد بن عيسى بن علي (١٢٩١ ـ ١٣٦١هـ) من آل خليفة شيخ البحرين وأميرها، ولد بها في المحرق وسماه الإنكليز شيخاً لها بعد تنحيتهم أباه سنة ١٣٤١هـ (١٩٢٣م) فحفظ حق أبيه إلى أن توفى سنة ١٣٥١هـ، وفي الكُتّاب من يجعل هذه السنة أول حكم صاحب الترجمة، ولم يكن في عهده ما يذكر، وتوفى بالسكتة القلبية في بلده، وهو والد الشيخ سلمان الذي ولى الإمارة بعد ذلك «الأعلام» ٢/٢٧٣ .

(٤٨) عبدالفتاح الحلو ١٨٥ .

(٤٩) عبـدالله الحامد، كتابه السابق ٢٧١، وانظر ص٣٠٥ من هذا الكتاب نفسه، ومجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ج٤، س١ (رمضان ١٣٩٥هـ) ص٤١ .

(٥٠) عبدالقدوس الأنصارى، مقاله السابق، مجلة المنهل، ج٧، س٢٠، مج١٦ (رجب ١٣٧٥هـ) ٣٨٢ .

(٥١) المصدر نفسه ٣٨٣ .

(٥٢) عبدالرحيم أبو بكر، كتابه السابق ١٠٥ .

(٥٣) المصدر نفسه ٩٦ .

(٥٤) إبراهيم بن فوزان، كتابه السابق ١١٨٠ .

(٥٥) عبدالله الحامد، كتابه السابق ٣٧٧ .

(٥٦) المصدر نفسه ٣٧٨ .

(٥٧) كتابه السابق ١٠٨ .

(٥٨) عبدالفتاح الحلو ١٥٨ .

(٥٩) المصدر نفسه ١٥٨ .

(٦٠) عبدالله الحامد، كتابه السابق ٣٠٤ .

(٦١) نسبة إلى عثمان بن أرطغرل الذي تنسب إليه الدولة العثمانية، قال علي حسون في معرض حديثه عن نشأة الخلافة العثمانية: «ولقد أسس تلك الدولة الشاسعة التي لعبت دوراً بارزاً في العالم: عثمان بن أرطغـرل بن سليمـان شاه بن قيـا ألب رئيس قبيلة قايي إحـدى قبائل الغزو التركية» «تاريخ الدولة العثمانية» ١٤ .

(٦٢) يشير إلى القوى الأوروبية الاستعمارية التي خططت لتقسيم الوطن العربي، وبخاصة دور إيطاليا في غزوها لطرابلس .

(٦٣) قال ابن منظور: «الموتور الذي تمثل له قتيل فلم يدرك بدمه، تقول منه وترة يتره وترا،وفي حديث محمد ابن سلمه أن الموتور الثائر أي صاحب الوتر الطالب بالثأر»، «اللسان» ٧/ ١٣٥ .

(٦٤) قيل في المعجم الوسيط: «تمالأ القوم على كذا اجتمعوا وتعاونوا عليه» ٢/ ٨٨٩ .

(٦٥) كان ذلك في عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١١م، وكـانت طرابلس من قبـل ضمن الولايـات العثمـانيـة، يقـول الصفصافي أحمد مرسي: «إلا أننا في بداية القرن العشرين، وحسب ما هو مستخرج من سالنامة دولت عليـه عثمـانيـة: الكتـاب السنوي للدولة العثمانية الصادر في سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م ترى الدولة العثمانية كانت منقسمة إلى ولايات والولاية إلى ألوية...» «مجلة الدارة»، «الدولة العثمانية والولايات العربية» ع٤، س٨، (رجب ١٤٠٣هـ) ص٨٤ .

(٦٦) انظر: «معجم البلدان» لياقوت ٤/ ٢٥ .

(٦٧) قال الرازى: «الوضم كل شيء يوضع عليه اللحم من خشب أو بارية يوقي به من الأرض، وقد وضم اللحم من باب وعد أى وضعه على الوضم. و (أوضمه) جعل له وضما»، «مختار الصحاح» ٧٢٧ .

(٦٨) يقول الصفصافي أحمد المرسى: «الدولة العثمانية قدر لها من بين دول الترك أن تصبح امبراطورية مترامية الأطراف، وأن تحكم شعوباً ومللا، ونحلا غير متجانسة، وأن تكون أطول دول الترك بقاء، إذ عمرت ٦٢٣ عاماً (١٢٩٩ ـ ١٩٢٢م) واختلف على عرشها أربعون حاكماً، الثلاثة الأول منهم بكوات والباقي سلاطين، ووليها من أيام السلطان سليم الأول (١٤٧٠ ـ ١٥٢٦م) إلى انقراضها اثنان وثلاثون سلطاناً خليفة جمعوا في أيديهم السلطتين الزمنية والروحية، ودعى لهم على منابر العالم الإسلامي السني طوال ٤٠٦ سنة»، مجلة الدارة، ع٤، س٨ (رجب ١٤٠٣هـ) ٧٠ .

(٦٩) يشير إلى ركودهم السياسي بعد الفتح الإسلامي، والجهاد المستمر في تاريخ الدولة الإسلامية .

(٧٠) قال الرازى: «جاسوا خلال الديار أي تخللوها فطلبوا ما فيها كما يجوس الرجل الأخبار أى يطلبها»، «مختار الصحاح» ١١٧ .

(٧١) قيل في «المعجم الوسيط»: «انفتق: انشق»، وقيل: «افتق السحاب: انكشف والشمس صادفت فتقا بين سحابتين فظهرت» ٢/ ٦٧٩ .

(٧٢) قال الصفصافي أحمد المرسي: «وضجت الأناضول والبلقان والولايات العربية بالطرق الصوفية كالنقشبندية، والمولوية، والبكداشية، والرفاعية أو الأحمدية، والخلوتية والكازرونية أو الإسحاقية، أو الرشدية مما شوه حقيقة الإسلام، وساعد على ادخال البدع في صلب الدين» مقاله السابق ٧٢ .

(٧٣) قال الرازي «الزئير كالصرير صوت الأسد في صدره، وبابه ضرب وزئيراً أيضا فهو زائر، وفيه لغة أخرى من باب طرب، فهو زئر، وتزأر الأسد أيضا تزؤرا»، «مختار الصحاح» ٢٦٧ .

(٧٤) قال الرازي: «السها كوكب خفي يمتحن الناس به أبصارهم»، «مختار الصاح» ٣١٩ .

(٧٥) اليابان، ولعله أراد حربها مع الروس .

(٧٦) انظر مادة «جزر» في «لسان العرب» لابن منظور ٥/ ٢٠٣ .

(٧٧) الحشايا: جمع حشية، وهي: «الفراش المحشو»، «مختار الصحاح» للرازي ١٣٨ .

(٧٨) من قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾، آية ٧ سورة محمد، وقوله تعالى : ﴿ **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله** ﴾، آية ٢٤٩ البقرة .

(٧٩) انظر: «معجم البلدان» لياقوت ٣/ ٣٤١ .

(٨٠) انظر: «الدولة العثمانية والولايات العربية» للصفصافي أحمد المرسي، مجلة الدارة، ع٤، س٨ (رجب ١٤٠٣هـ) ص٧٢ .

(٨١) كما في المصدر،ولعل الصواب: «اليسير»، إذ لا يوصف الجهل بلفظ «البسيط»، ففي المعجم: «البساط ما يبسط، ومكان بسيط، أي واسع»، انظر «مختار الصحاح» للرازي ٥٢ .

(٨٢) قيل في «المعجم الوسيط»: «البندقية: هي قناة جوفاء تعرف بالزبطانة، كانوا يرمون بها البندة في صيد الطيور، وآلة حديد يقذف بها الرصاص» ١/ ٧١ .

(٨٣) قال الجوهري: «البيضة: واحدة البيض من الحديد»، «الصحاح» ٣/ ١٠٦٨، وقد رسمت هذه الكلمة في المصدر هكذا :

فاليوم أنفع علم في البنادق والبيـ * ـض الصوارم تنفي العار والعسرا.

(٨٤) قال الصفصافي أحمد المرسي: «وقد اعتمد العثمانيون المذهب الحنفي مذهباً رسمياً للدولة... أما المذاهب الأخرى، فقد تركت الدولة لأفرادها حق اختيار مفتيها من بينهم»، وقال: «ومما يؤخذ على الدولة العثمانية منذ نشأتها مؤازرتها للطرق الصوفية، فقد أولت الطرق الصوفية وأربابها أهمية بالغة، وأمدتهم بالعون المادي، وألحقتهم بالجيش، وانتسب السلاطين إلى الطرق الصوفية، وكان كل منهم حريصاً على ذلك الانتساب»، مقاله السابق، مجلة الدارة، ع٤، س٨ (رجب ١٤٠٣هـ) ٧٢ .

(٨٥) قال الرازي: «الربق بالكسر حبل فيه عدة عرى تشد به البهم الواحدة من العرى ربقه» وفي الحديث: «خلع ربقة الإسلام من عنقه»، «والجمع ربق وأرباق ورباق...»، «مختار الصحاح» ٢٣١ .

(٨٦) من قوله تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة...** ﴾، من آية ٦٠ سورة الأنفال.

(٨٧) قال الرازي: «الصبر بكسر الباء الدواء المر ولا يسكن إلا في ضرورة الشعر»، «مختار الصحاح» ٣٥٥ .

(٨٨) قال الرازي: «عترة الرجل نسله ورهطه الأدنون»، «مختار الصحاح» ٤١٠ .

(٨٩) هذه القصيدة ـ كما قيل ـ منشورة في مجلة المنهل، ج٤، س١٣ (ربيع الثاني ١٣٧٢هـ). ص ص١٧٦ ـ ١٨٠ .

(٩٠) كذا في المصدر وفي كتاب: «الشعر في الجزيرة العربية» للحامد: «إذا دعاه الداعي» ٣٠٣ .

(٩١) في المصدر «أشبالهم» وعلق جامع شعر: «شعر هجر» بقوله: «في رواية: «وخلفوا أشباههم»، وهي المناسبة لعجز البيت»، بل هي الصواب.

(٩٢) قال الجوهري: «السراب: الذي تراه نصف النهار كأنه ماء»، «الصحاح» ١/ ١٤٧ .

(٩٣) حذفت الهمزة من أجل استقامة الوزن.

(٩٤) قال الرازى: «العلاء، والعلا: الرفعة والشرف وكذا المعلاة والجمع المعالي»، «مختار الصحاح» ٤٥٢ .

(٩٥) أراد القصب، وأحدته يراعه، واليراعة: «القلم يتخذ من القصب»، «المعجم الوسيط» ١٠٧٧/٢ .

(٩٦) قال الفيرزو آبادى: «السرح المال السائم» ٢٢٧/١ .

(٩٧) قال الجوهري: «كرع في الماء يكرع كروعاً، إذا تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء»، «الصحاح» ١٢٧٥/٣، انظر: «اللسان» ١٨٧/١٠، و: «المعجم الوسيط» ٧٨٩/٢ .

(٩٨) قال جامع شعر «شعراء هجر»: «السائم: الذي يعرض السلعة للبيع» ١٨٦، ولعل الصواب هنا: المشترى المفاوض في البيع والابتياع، وبخاصة وقد قال الشاعر: «فضلا عن المبتاع»، انظر: «المعجم الوسيط» ٤٦٨/١ .

(٩٩) قال الجوهرى: «الحلبة بالتسكين: خيل تجمع للسباق من كل أوب»، «الصحاح» ١١٥/١ .

(١٠٠) قيل في المعجم الوسيط: «الشملة: شقة من الثياب ذات خمل يتوشح بها ويتلفع وكساء من صوف أو شعر يتغطى به ويتلفف به (ج) شمال وفي حديث علي: أن أبا هذا كان ينسج الشمال بيمينه ٤٩٧/١ .

(١٠١) جمع درع، قيل في: «المعجم الوسيط»: «الدرع: الزردية، وهى قميص من حلقات من الحديد متشابكة يلبس وقاية من السلاح، يذكر ويؤنث (ج) دروع، وأدرع ، وأدراع» ٢٨٠/١ .

(١٠٢) قيل في: المعجم السابق: «الظبة: حد السيف والسنان والخنجر وما أشبهها (ج) ظباء، وظبات، وظبون» ٥٨١/٢ .

(١٠٣) الطلى: الأعناق، والنجيع من الدم ما كان يضرب إلى السواد وهو دم الجوف خاصة، والهماع: السائل. انظر: «مختار الصحاح»، للرازى ٣٨٧، ٦٤٧، ٦٩٩ .

(١٠٤) جمع قصعة، وهى: «وعاء يؤكل فيه ويثرد، وكان يتخذ من الخشب غالباً (ج) قصاع، وقصع، وقصعات»، «المعجم الوسيط» ٧٤٦/٢.

(١٠٥) قال الرازى: «الزبية الرابية لا يعلوها الماء. وفي المثل: «قد بلغ السيل الزبى»، «مختار الصحاح» ٢٦٨ .

(١٠٦) جمع نطع، وهو: «بساط من الجلد»، «المعجم الوسيط» ٩٣٨/٢ .

(١٠٧) قيل في «المعجم الوسيط»: «قرع الشيء قرعاً ضربه» ٧٣٥/٢ .

(١٠٨) يريد الفقر والحاجة، وفي المعجم الوسيط: «المدقع: فقر مدقع شديد مذل (ج) مداقيع» ٢٩٠/١ .

(١٠٩) قال الرازى: «مرع: المريع الخصيب، وقد مرع الوادى من باب ظرف، وأمرع أيضا أى أكلا فهو مريع، وممرع، وأمرعه أصابه مريعاً، وفي المثل: أمرعت فانزل»، «مختار الصحاح» ٦٢٢ .

(١١٠) أراد أوروبا وبلدانها.

(١١١) قيل في: «المعجم الوسيط»: «الزماع: السرعة والمضاء في الأمر، والعزم عليه» ٤٠٢/١ .

(١١٢) في الأصل: «بالمصطاع»، والصواب ما أثبت لأن: السين من حروف الزيادة .

(١١٣) من قوله تعالى : ﴿ **فالله خير حافظاً، وهو أرحم الراحمين** ﴾، من آية ٦٤ سورة يوسف .

(١١٤) قال الجوهرى: «الصل بالكسر الحية التي لا تنفع منها الرقية، يقال: إنها يصل، إذا كانت منكرة مثل الأفعى، ويقال للرجل إذا كان داهياً منكراً: انه لصل اصلال، أى حية من الحيات شبه الرجل بها، قال النابغة الذبياني :

ماذا رزئنا به من حية ذكر

نضناضة بالرزايا صل أصلال»

«الصحاح» ١٧٤٥/٥ .

(١١٥) في الأصل: منباع: «متجه» ١٨٧ .

(١١٦) أى هيئوا، وقد صنع هذا من أجل الوزن .

(١١٧) قال الجوهرى: «الأشجع: ضرب من الحيات، وكذلك الشجاع»، «الصحاح» ١٢٣٥/٣ .

(١١٨) قال الرازى: ماس تبتخر وبابه باع «مختار الصحاح» ٦٤١ .

(١١٩) قال الجوهري: «الربع: الدار بعينها حيث كانت، وجمعها رباع وربوع وأرباع وأربع، والربع: المحلة، يقال: ما أوسع ربع بني فلان»، «الصحاح» ٣/١٢١١ .

(١٢٠) قيل في «المعجم الوسيط»: «المرصاع: خشبة يلعب بها، أو كل خشبة يدحى بها ودوامة الصبيان (ج) مراصيع» ١/٣٤٩ .

(١٢١) انظر: «معجم البلدان» لياقوت ١/٣٤٦، و: «مجلة العرب» ج١١، ١٢، س١٣ (جماديان ١٣٩٩هـ) ص٩٦ .

(١٢٢) لعله يريد المال وأسبابه.

(١٢٣) قال ياقوت الحمرى: «أوال: بالضم، ويروى بالفتح: جزيرة يحيط بها البحر بناحية البحرين، فيها نخل كثير وليمون وبساتين... وقال تميم بن أبي مقبل:

عمد الحداة بها لعارض قرية فكأنها سفـن بسيـف أوال»

وقد ضبطت في المجموع بالفتح «أوال»، «معجم البلدان» ١/٢٧٤ .

(١٢٤) يريد عيسى المسيح عليه السلام .

(١٢٥) في الأصل: «بالمصطاع»، والصواب: ما أثبت لأن السين من حروف الزيادة .

(١٢٦) قال عبـدالله الحامد: «لا شك أن صلة الشاعر بعيسى الخليفة كان لها أثر في تلك القضية. وكان يمدحه، ويقيم عنده في البحرين رغم أن الشاعر لم يبك قصر الخليفة، ولم يأس على عيسى بل ترك كل ذلك جانبا، وتحدث عن مسألة العزل كقضية سياسية، تشير إلى الأصابع البريطانية التي بدأت تحكم ارتباطها لغل عنق الخليج المستكين، وإقامة الشاعر في البحرين اتاحت له أن يعرف الوضع السياسي عن كثب أكثـر ممـا عرفه الآخرون المشغولون بطلب لقمة العيش، أو بالاختلاف في توافه الأمور آنذاك»، «الشعر في الجزيرة العربية» ٣٠٥ .

(١٢٧) قيل في مجموع: «شعراء هجر»: «البُدَيِّع قرية في البحرين، غضب أهلها، وجاءوا إلى الدمام» ١٨٩ .

(١٢٨) قيل في «المعجم الوسيط»، «الأروع الذكي الفؤاد» ١/٣٨٤ .

(١٢٩) يشير إلى الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود يرحمه الله (١٢٩٣ ـ ١٣٧٣هـ) .

(١٣٠) المريع: الخصيب، انظر «مختار الصحاح» ٦٢٢ .

(١٣١) قيل في الأصل: «الأجراع: القطع من الرمل المستوية» ١٨٩ .

(١٣٢) قال الرازي: «العاني الأسير يقال عنا فلان أسيراً من باب سما أي أقام على إسارة فهو عان وقوم عناه ونسوة عوان».. «مختار الصحاح» ٤٥٩ .

(١٣٣) قيل في: «المعجم الوسيط»: «مصع الشيء ضربه بالسيف أو السوط» ٢/٨٨٠ .

(١٣٤) قال الجوهري: «قال يعقوب: يقال للشق في الجبل سلع بالكسر، وجمعه أسلاع وبعضهم يفتحه...». «الصحاح» ٣/١٢٣١ .

(١٣٥) عبدالفتاح محمد الحلو، مجموعة السابق، ص ص١٨٥ـ١٨٩ .

(١٣٦) كتابه السابق ١٠٤، وهذا يختلف عما قاله الخطراوي، إذ قال: «أما قصيدته الرائية يا آل عثمان التى وجهها للعثمانيين، وأبعد من أجلها عن المدينة، والتى قالوا: إنها نشرت آنذاك في الصحف في أقطار إسلامية عديدة، فإننى لم أظفر بها مطبوعة في صحيفة، وإنما وجدتها فيما أضافه الدفتر دار إلى الديوان» ص٢١، انتهى ولكنها نشرت من بعد في مجلة «المنهل» كما قيل! .

(١٣٧) كتابه السابق ١٥٨ .

(١٣٨) انظر: مجلة العرب، ج٧، ٨، س١٥ (محرم وصفر ١٤٠١هـ) ٥٩٤، ومجلة الدارة، ع٣ ، س٦ (جمادى الثانية ١٤٠١هـ) ص٧١ .

(١٣٩) ص١٧٦ .

(١٤٠) ص١٨٥ .

(١٤١) عبدالرحيم أبو بكر، كتابه السابق ١٠٥ .

(١٤٢) مجلة المنهل، ج٤، س١٣ (ربيع الثاني ١٣٧٢هـ) ص ص١٧٦ ـ ١٨٠ .
(١٤٣) المصدر نفسه ١٧٦ .
(١٤٤) المصدر نفسه ١٧٧ .
(١٤٥) المصدر نفسه ١٧٨ .
(١٤٦) المصدر نفسه ١٧٨ .
(١٤٧) المصدر نفسه ١٧٨ .
(١٤٨) المصدر نفسه ١٧٨ .
(١٤٩) المصدر نفسه ١٧٩ .
(١٥٠) المصدر نفسه ١٧٩ .
(١٥١) المصدر نفسه ١٨٠ .
(١٥٢) عبدالرحيم أبو بكر، كتابه السابق، ١٠٧ .
(١٥٣) المصدر نفسه ١٠٨ .
(١٥٤) عبدالله الحامد، كتابه السابق، ٣٦٨ .
(١٥٥) عبدالفتاح محمد الحلو، مجموعه السابق، ١٨٥ .
(١٥٦) المصدر نفسه ١٨٥ .
(١٥٧) المصدر نفسه ١٨٦ .
(١٥٨) المصدر نفسه ١٨٦ .
(١٥٩) المصدر نفسه ١٨٦ .
(١٦٠) المصدر نفسه ١٨٧ .
(١٦١) المصدر نفسه ١٨٧ .
(١٦٢) المصدر نفسه ١٨٨ .
(١٦٣) المصدر نفسه ١٨٩ .
(١٦٤) عبدالله الحامد، كتابه السابق، ٣٠٤ .
(١٦٥) لقد اكتفى الباحث بذكر ملامح الأسلوب عند الشاعرين دون ضرب الأمثلة، وإيراد الأدلة، رغبة في الإيجاز، إذ يمكن ملاحظة هذه المعالم الأسلوبية عبر أبيات القصيدتين.

المصادر والمراجع :

الكتـــب :

- الأُسْكُوبي، إبراهيم بن حسن، «ديوانه» تحقيق محمد العيد الخطراوي، ط١، مط دار الاصفهاني للطباعة بجدة (١٤٠٩/ ١٩٨٩م).
- أبـو بكـر، عبـدالرحيم، «الشعـر الحديث في الحجاز»، مط السلفية، القاهرة، بدون تاريخ.
- الجـوهري، إسماعيل بن حماد. «الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية»، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، ط٢ (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
- حافظ، عبدالسلام هاشم. «المدينة المنورة في التاريخ» ص٢، منشورات دار التراث، القاهرة (١٣٨١هـ/١٩٦١م).
- الحـامـد، عبـدالله. «الشعـر في الجزيرة العربية خلال قرنين (١١٥٠ - ١٣٥٠هـ)، مط الاشعاع، الرياض، بدون تاريخ.
- حسون، علي. «تاريخ الدولة العثمانية» ط٢، المكتب الإسلامي، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
- الحلو: عبدالفتاح محمد. «شعراء هجر من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر»، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، (١٤٠١هـ١٩٨٤١م).
- الحموى، ياقوت. «معجم البلدان» دار صادر، دار بيروت (١٤٠٤هـ١٩٨٤١م).
- الرازى، «مختار الصحاح»، ط١، نشر دار الكتاب العربي، بيروت (١٣٨٧هـ١٩٦٧١م).
- رمضـان، أحمـد. «دراسات في الجغرافية الاقتصادية» المملكة العربية السعـودية والبحرين»، ط١، مط دار الهلال للأوفست، الرياض، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز (٢١) (١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م).
- الزركلى، خير الدين. «الأعلام» ط٦، دار العلم للملايين، بيروت (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

● الزيـاني، أمـل إبـراهيم. «البحـرين بين الاستقلال السياسي والانطلاق الدولي»، ط٢، (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).

● الفوزان، إبراهيم. «الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد» ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، (١٤٠١هـ/١٩٨١م).

● الفيروز آبادى. «القاموس المحيط»، توزيع مكتبة النورى، دمشق، بدون تاريخ.

● مصـطفى، إبـراهيم وآخرون. «معجم الوسيط» المكتبة العلمية، طهران، بدون تاريخ.

● ابن منظور، جمال الدين محمد. «لسان العرب» مط كوستاتوماس ، مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

الدوريات :

- الأُسْكُوبي، إبراهيم. «قصيدته»، مجلة المنهل، ج٤، س١٣، مح ١٣ (ربيع الثاني ١٣٧٢هـ).
- الأنصارى، عبدالقدوس. «قصة الشعر»، مجلة المنهل مح١٦، س٢٠، ج٧ (رجب ١٣٧٥هـ).
- الجاسر، حمد. «البحرين»، «مجلة العرب»، ج١١، ١٢، س١٣ (جماديان ١٣٩٩هـ).
- الحامد، عبدالله. «شعر الجزيرة العربية في قرنين ١١٥٠ ـ ١٣٥٠هـ»، مجلة الدارة، ع٣، س٦ (جمادى الثانية ١٤٠١هـ).
- الحامد، عبدالله. الشعر في الجزيرة العربية، مجلة العرب، ج٧، ٨، س١٥، (محرم وصفر ١٤٠١هـ).
- الرميحي، محمد. «حركة ١٩٣٨م الإصلاحية في الكويت والبحرين ودبي» مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، ع٤، س١ (رمضان ١٣٩٥هـ).
- القرشي، حسن عبدالله. «لمحة عن الشعر في المملكة» مجلة العرب. ج٣، ٤، س١٦ (رمضان وشوال سنة ١٤٠١هـ).
- آل مبارك، أحمد بن علي. «علماء الأحساء ومكانتهم العلمية والأدبية» مجلة العرب، ج٥، ٦، س١٧ (ذو القعدة والحجة ١٤٠٢هـ).
- آل مبارك، يوسف بن راشد. «الأسر العلمية في الأحساء (١) آل مبارك»، مجلة العرب، ج٩، ١٠، س٨ (الربيعان ١٣٩٤هـ).
- المرسى، الصفصافي أحمد، «الدولة العثمانية والولايات العربية»، مجلة الدارة، ع٤، س٨، (رجب ١٤٠٣هـ).

المحتويات

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

